

حلاس كامل الطير في

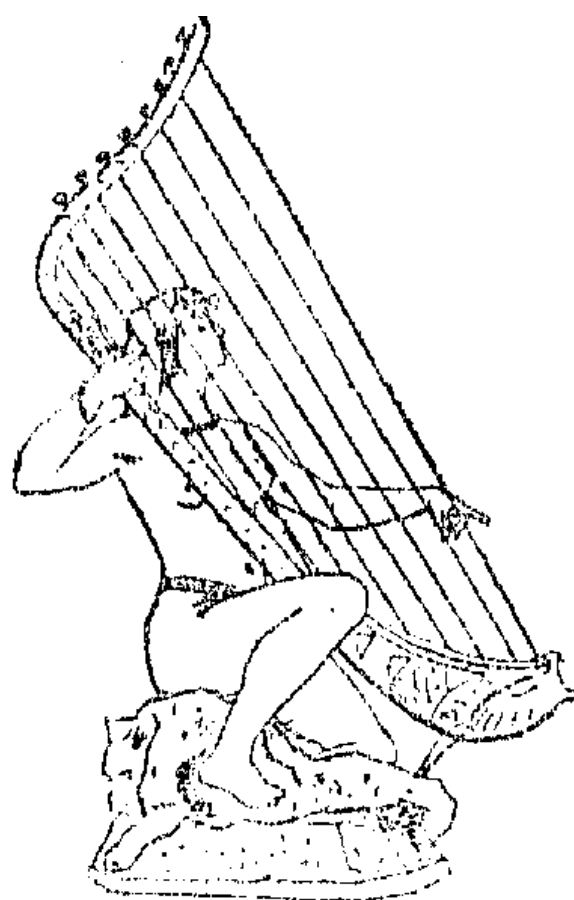
الدُّعَاءُ الصَّائِغَةُ

١٩٣٤

جلاس كامل الطبري

الدخول في الفقه

١٩٣٤



إهداء الديوان

إلى الحائرين في شُددان الطمانينة
إلى التائهين بأخيلاتهم وأمانيتهم في وادي الحياة العميق
إلى المعلقين أبصارهم بين عالميَّ النور والظلمة
إلى العازفين ألحانهم بين الصخور الصماء ، والضائعة أصواتهم في صخب الأمواج
أقدمُ الحاني الضائعة



قصير

... وأخيراً يظهر عشاق الشعر العالى بهذه « الألحان الضائعة » لشاعر من أنبغ شعراء الشباب ومن أظهر رؤادهم : حسن كامل الصيرفي الذي يهتف في إيمان عميق :

وما العطرُ إلا أنه وتوجع كأصداء أنغامي ورجع شكائي
يفنى شجي القلب والناس حوله طرويين بالأنشاد والمنشآت
وما كان لي أن أجراً على كتابة هذا التصدير إلا بعد أن خبرت الصيرفي خبرة
الأديب للأديب والصديق للصديق ، وبعد أن شعرت أنه من أجدر الشعراء
بأن يردد :

وما كان شعري في نظم أصوغه ولكن شعري أن أكون أنا الشعراء
ومن كانت هذه نفسيته فلن تضع ألحانه ، بلغت ما بلغت بيئته من العزوف
والجحود ، وشقيت ما شقيت نفسه من هواها وهومها .

حسن كامل الصيرفي شاعر أصيل فياض الشاعرية المستوحاة من أغاني الربيع
ومن الصدى الخافت ومن جفاء الطبيعة ومن البساتين الساخرة ومن موت الليل ،
وحتى من المنديل وعقب اللقيفة ، ومن كل ما توحيه الحياة والموت للشاعر
الحساس النبيل . وهو شاعر في بيانه ، شاعر في حياته ، شاعر في خلقه ،
وهذه صفات قلما تجتمع حتى تبهجك وتشعرك بالاحترام والمحبة البالغة نحو
صاحبها . وكم وكم من فنان لم يتعد فنه صناعته وتعبيره ، فتحبه عن بعد وتأبى
إياه أن تكون لك صحبته ، كأنما هو ينتسب إلى السماوات العلى ، بفنه المقروء
والمسموع ، ويمت بوشائج قوية إلى أعماق الجحيم في خلقه وطباعه الشاذة . . .
ولكن الصيرفي غير هذا : فهو الفنان الناضج في تعبيره الوجداني المنفوم ،

وفي صور حياته العامة ، وفي مظاهر النفس الخلقية ، فهو ذاتية من الشعر الخبيث الشعين . . . وأين هذا المثال الرائع من أمثلة المبدعين لمنظومات خلافة لا لشعر مع ذلك أن وراءها شيئاً مذكوراً من العاطفة ولا أصالة في الشاعرية ولا تعمقاً في الحياة ولا فلسفة قيمة ولا مطابقة بين حياة الشاعر وبين ما يدعيه من مثل عليا ؟ فالصيرفي الشاعر وشعر الصيرفي وحدة منسجمة لا تُجزأ ، وإن الأعزاز الذي توجهه إلى شعره نستمدّه كذلك من شخصيته الشاعرة المتسامية المحبوبة - تلك الشخصية الحساسة الناضجة التي تأسّرنا بتعاليلها في صمتها البليغ حينما تدوى الدنيا حولنا بسفاسف الأمور !

لقد انتظمت مدرسة أبولو شعراء ممتازين ولها أن تفتخر كل الافتخار بالصيرفي وشعره ، فهو ثروة جديدة للشعر المصري الحديث وللشعر العربي عامة ، وكيف لا يكون ذلك وهو الجامع ما جمع من الطلاقة البديعة والخيال الرائع والموسيقى المستحدثة في نظام هو نظامه لا يقلد فيه أحداً ، وإن تجاوب مع أقرانه من أعلام النهضة الشعرية في العالم العربي . وهذا التجاوب الشامل علامة من علامات الشاعرية القوية ، كما أن احتفاظه بشخصيته علامة أخرى من علاماتها القوية . وحسبك أن تفترض حرماننا مما فاج هذا الشعر الحديث فتشعر بالفراغ الذي تشغله شخصية الصيرفي الشاعر وإن أتي عليها إلا التواضع أو التوازي كما ذلك من أصول فنه العميق .

وفي « الصورة السريعة » التي يعرضها الصيرفي ترجمة له نلمح الروح النائرة في صميمها الوديعة في مظهرها ، وقد أبت إلا أن تكون سيّدة نفسها ومبعث فنها ، لا مرأى لغيرها . فكل فاقد يحترم مداركه لا يسعه إلا احترام هذه الشخصية الفنية العزيزة .

يقول الصيرفي :

عصرتُ رُوحِي خمرًا للورى وهوّى وما تذوّقتُ منها بعضَ ما شربوا

صاغت أمانى في الدنيا وأى مـنى
نميش فيها ونحيا وهى تلهب ١٩
فنشيد الألم مستهل ديوانه ، ونشيد الألم ختامه ، ولكنه الألم الذى
لا يصحبه الندم ، ألم التضحية النبيلة :

هنا فى هيكـل الحب أحقر مبدأ الفرد
وأحرق عنده قلبى بخوراً طيب الند
ولست بنادم يوماً على قربانى الضائع
أجل الناس من يظا ليرضى الظائم الجائع

وكيف يندم وهو صاحب ملحمة « الشاعر » الذى يقول :

عجبت لساكن هذا الوجود ضحايا ولكنهم يعبثون
تبدد هم سخريات الحياة وتجمعهم سخريات المنون
تصوِّفهم من جهود الصخور وشهوتهم من ضرام الجنون
بنيت لهم من جنان الخيال فراديس ترقص فيها القنون
فراحوا بجنـتهم يهزأون ومالوا على سورها يهدمون !

إذا غبت عن أرضهم برهة فى رجعة لهمو بعد حين
تزهت عن عادات الفناء وإن كنت فى الأرض كالمهلكين !

ليكن الشاعر من يكون ، فاذا عديم رسالة مثالية فى شعره فاهو أهل لأن
يعد فى مرتبة من مراتب الأكراب الانسانى . فأية رسالة للشاعر الصيرفى فى شعره ،
وإن نظم شعره أصلاً لنفسه (اقرأ « الصدى الخافت ») ؟ وما هى مميزاته الفنية
التي تقترن بهذه الرسالة ؟

الصيرفى شاعر مبتدع ، بعيد الخيال ، رومانطيقى النزعة غالباً ، رمزى
أحياناً ، بعيد فى طوره الحاضر عن المثل القديمة ، لغته لغة الشعر الجرى ،

فكل ألفاظه أشعة وظلال وأنعام وأصداء وعطر وشذى وأشباح وأطياف
وتخويها، وليست لغة التنسيق الصناعي الذي لا يخرج عن حدود الموسيقى اللفظية التي
لأمتت بطلان إلى المعاني، وشتمان بين موسيقى المعاني التي تأمر الألفاظ وبين الموسيقى
اللفظية التي تكاد لا تعرفها المعاني ! فليذهب عشاق التشريح والتقريب اللفظي إلى
غير هذا الشعر . ليذهبوا إلى شعراء الرنين وليتناظروا معهم في استبدال لفظة
بأخرى وفي أصوب المذاهب النحوية ، وأما إزاء هذا الشعر الوجداني الرائع
فليعتبروا أن وراء ألفاظه دوافع نفسية في الاختيار والتنسيق والموسيقى ،
لا دوافع صناعية تدعو إلى تبديل بعد تبديل وتخوير وتقديم وتأخير . ثم ما هي
رسالة الصيرفي في شعره ؟ هي رسالة بسيطة ولكنها جادة متسامية : هي رسالة
الحياة الفنية الخالصة ، التي يبكيها في « موت البلبل » ويبعثها في « الشاعر » ،
وهي رسالة تشوبها الحيرة والابهام في مواضع ولكن يحلوها إيمان الشاعر دائماً .
وإذا تتبعناها في مجالها واستمعنا إلى الشاعر التائه ينادي :

يا ظلمة الليل رُدِّيْ نَجْمَكِ الزاهرُ كفايَ اليومَ إلى تائه حائرُ
أطوفُ من عالمٍ تطغى مواجِه إلى سواه فأتقي موجه نائرُ
سفيني حطمها الريحُ فاقتنعتُ نفسي ببعض شرعٍ ساجٍ خائرُ
يلقي به الموجُ نحو الشطِّ ينقذني والشطُّ كالبحر يطوي البأس العائرُ
خلصتُ من غمرة الدنيا لحيرتها ومبدأ العمر في الآلام كالأخرُ
يا ظلمة الليل واسيني بأحجمي كفايَ اليومَ إلى تائه حائرُ !

لم نلبث أن نجد هذا « التائه » نفسه هادينا بروحانيته القوية فنلمح
« السحابة المغتررة » ونتبين « جفاء الطبيعة » كما تفقه « الرغبات المقيدة »
ونتعرف « حياة الفنان » ونهتدي بخواطر الشاعر وتصويره إلى أن الفن وحده
هو خلاص الإنسانية وسعادتها ، والفن ينتظم الجمال بما يعنيه الجمال من حب
ورحمة وتجاوب شامل للوجود .

هذه هي رسالة الصيرفي في شعره الجميل الذي نشر كثير منه قبلاً فانبت
في الأدب المعصرى وتجلت آثاره في أشعار كثيرة لمشهورين ومغمورين على
السواء ، أحياها تحيةة الإعجاب والمحبة الخالصة في « أطلانه الضائعة » التي لن
تزل ، وإنما تغيب في الخواطر والنفوس ثم تعود مجددة على ألسنة مرديه
ومحبيه وفي دقات قلوبهم ما

ضاحية المطرية في ٦ يونية سنة ١٩٣٤



المسألة

صورة سريعة

آمالٌ وآلام : هما العنصران اللذان كوّنا نفسي . . . طلعتُ على الحياة باسمًا ملروبًا ، وعرفتُها يقظةً فجرٍ وشروق . وكانت في نفسي أحلام طفل يرنو بعيني شاب . كنت أجد اللذة في أن أملأ رأسي بما تضمُّ صحائف كل كتاب يقع ليدي وإن بُعدَ عن مدى تفكيري . أسأل عن هذا وذاك . وإذا السنون تأخذ بيد الطفل وهو باسمٌ لم يجد عقبه ولم يصدّه عائق . وبين دراستي وأنا يافع أبت الحياة إلا أن تطلعني منها على النواحي التي لم تستطع باصرتا الطفل الوصول إليها فعرفتُ من ألوانها وظلالها ، حقائقها وأوهامها ، وأنا في السادسة عشرة من عمري ، ونظرت إلى الحياة وأنا شاب نظرة شيخ مجرب فاذا كفة الألم ترجح وكفة الأمل تشيل .

في الفترة من ٦ سبتمبر سنة ١٩٠٨ — يوم خروجي إلى الحياة — إلى عام ١٩٢٢ كانت تختلج في صدري أوتار قيثارة خفية تلهو بها نسائم عذبة رقيقة في غير ما غاية فتخرج من الأوتار أنغاماً غير محدودة سرعان ما تتلاشى في الأفق الذي وسع آلاف الأنغام المحدودة وغير المحدودة .

كنت أترنم بكلمات أحاول أن أربطها في أساطير موسيقية وإن كانت لا ترتبط معانيها ولا أفهم غاية منها ولها ، ومن هذا العبت كانت المحاولات الأولى في كتابة الشعر . فاذا كانت سنة ١٩٢٣ وكانت النسائم العازقة قد تمكنت من أوتار القيثارة فخرتها في نظام وإلى غاية انبعثت أنغام ألفت منها ديواناً كبيراً .

وفي سنة ١٩٢٥ عرفتُ نواحيَ من الحياة بشعة بعد أن كنت لا أعرف إلا الجميل منها . وكانت لناحية منها أكبر تأثير في نفسي ، صدمتُ بالمادة تصرف الناس — وإن سميتُ مرا كزهم — عن الانسانية ، وأوقفتني الصدمة عن إتمام حياتي المدرسية وخرجتُ ساهطاً على الناس ، ساهطاً على الحياة ، ولكنه سخطٌ يؤدي إلى الرغبة في السمو عن الحياة والناس ويوحى بازدرائهما . فكانت الثورة ، وكان من أولى ما تناولته ثورتى شعري فزقته وصممت على أن أكون جديداً وليد نفسي وابسكارها لا وليد تقليد ومحاكاة ، وكانت القيثاره قد بدئت أوتارها تحرك من جديد على حياة جديدة بروح وفكر جديدين .

وفي سنة ١٩٢٧ بدأتُ أنشر أشعاري في مجلة « العصور » وكان أول ما نشرته مقطوعتان ^(١) : الأولى عنوانها « مدى الجهل » والثانية « نور التجديد » ثم واليت النشر وقويت عزيمتي وزادت همتي لما وجدت أن أشعاري تتناقلها مجلاتٌ مختلفة في ربوع الشام والعراق والأمريكتين ولما أتجاوز التاسعة عشرة .

على أن ثورتى لم تهدأ ولن تهدأ نحو شعري ، فإن ما كتبت به بالأمس أصبح معظمه لا يروق ذوقى الفنى ، وما أكتبه اليوم سيصبح فى الغد أمام ذوقى فى حاجة إلى التبديل والتغيير . ولقد يحدث أن أنظم قصيدة أطلع عليها صديقاً ثم أعود بعد حين فأحسوها من الوجود أو أغير قافيتها أو أبدل نظامها بالرغم من إعجاب الصديق ولو كنت أثق بذوقه .

كما أن لهذه الثورة يداً فى التجارب النظامية التى حاولتها من مزج بعض البحور الشعرية ، أو الخروج عن الذوق العروضى طوعاً للذوق الموسيقى وإن كان

(١) من ديوان قطرات الندى أول دواويني الشعرية .

ذلك يحرك سخط الكثيرين على ، إذ لا أبالي بموارة ذلك السخط ما دامت نفسي
في كثير من الأحيان لا ترضى عما أعمله ، وكفى بالشاعر أن يكون على نفسه رقيباً .

أمالٌ وآلامٌ : هما العنصران اللذان سيطرا على حياتي ، فإذا بي وأنا بين الرنين
المتدفق أحسُّ أن وترّاً كاد أن ينقطع ، وهل يصلح وترٌ لم يبق بينه وبين التقطع
إلا عزفة ثم ينبت بين نعمة صادرة وصدى يتلاشى ؟ والقيشارة كالحياة ينقطع وتر
منها بعد وتر ، كالناس يفنون فرداً بعد فرد ، فإن لم تصلحها اليد العازفة تحطمت ...
فما أحسستُ قيثارتى تفقد أوتارها حتى ازدادت في قوة العنصر الثاني ثم زاد
تلوين الحياة أمام عيني بلوناً أشدّ قماماً من ذي قبل عزفٌ يدّ تجهل الفن على
القيشارة فقطعت أوتارها إلا واحداً بقيت أعزف عليه وهو ينظر إلى الفناء كما
تنظر النجمة الساجية الى العالم عند مطلع الفجر ، فإذا ألحاني الضائعة التي أقدمها
اليوم ، وهي ليست أول ما نشرت ولا آخر ما أنشر ولكنها فترة توسطت حالتين .

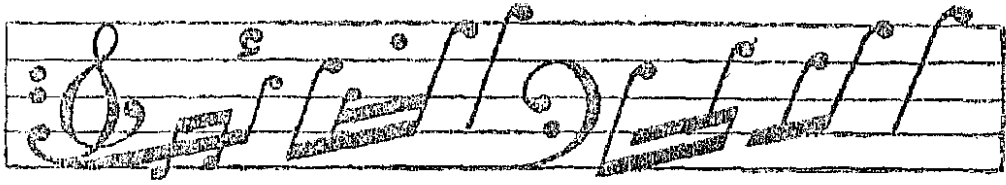
فإذا كان لهذه الألحان التي انبعثت من وتر واحد كنت أعزف عليه وحدي
صدى في نفوس من يستمعون إليها فقد أتاح الله لها أن تردّ الى بعد ضياعها
وإلا فإن في الفضاء البعيد لمستمعاً لألحان وأصداء وأنفاس وأرواح هو
مستقرها وهو المصبّ الأخير ؟

الصبغ في



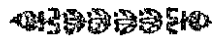


سيرة الزبائن



الضحية

عصرتُ رُوحِي خمرآ للورى وهوى
ضاعت أمانِي في الدنيا وأيُّ مُنَى
أنهدتُ كلَّ أناصيدي فما بقيتُ
فرحاً بشقائي في محببتهم
وما تذوقتُ منها بعض ما شربوا
تعيش فيها وتحيا وهي تلتهب ١٢
الحائِثُها ، ونولِي مَوْتها الصَّخبُ
ومرحباً بمذابِ جرَّةِ الأدبِ
وفي سبيل الورى رُوحِي وما أهبُ
وليتغفر اللهُ للدنيا إساءتها



الواحة المنسية

في ذِمَّةِ الفنِّ الحانٌ تفيضُ ، وفي
تَجَرَّعِ الألمِ الدامي لحولة
يُسقى العذابَ ويمسُقِ الناسَ أكوامهم
مدامعُ الأنجمِ الحيرى تشاركه
أصدائها قِطَعٌ من قلب فنَّانٍ
إلى ترانيم عُشاقِ وألحانٍ
عَفَواً من النورِ في ظلماتِ أشجانٍ
تسلسلُ الدمعِ في أجفانٍ حيرانٍ
وظلمةُ الليلِ تستوحى كآبتهُ
ومطلعُ الفجرِ يستوحى ابتسامتهُ
نورَ الملائكِ في إشراقِ إنسانٍ
وجرَّحه من شظايا العالمِ الجاني
أَنَّهُ من طلعانِ الدهرِ صادرةُ

تضمُّدُ الجُرحِ كَفَّاهُ وَيَسْتَرُهُ
فِيهِ مَعَانِي ابْتِسَامٍ وَهِيَ مَسْخَرَةٌ
يَمِيشُ فِي الْأَرْضِ مَاخُوذًا بِمَالِهِ
يَبْدُو خِلَالَ ظِلَامِ النَّاسِ مُؤْتَلَقًا
كَوَاحِ أَزْهَرَتْ فِي الْقَفْرِ تَائِهَةٌ
فِي ذِمَّةِ الْفَنِّ مَا رَدَّدَتْهُ أَمْدًا
طَفَى عَلَيْهِ مُضْجِجُ الْقَوْمِ فَانْطَمَسَتْ
بَوَاضِحٍ مِنْ ثَنَائِ الْقَفْرِ فَتَانٍ
بِمَالِهِ دَائِرٌ فِي كَفِّ شَيْطَانٍ
وَيَهْجُرُ الْأَرْضَ هَبْنَانًا بِأَكْوَانٍ
نُورُ الْخُلُودِ بِهَذَا الْكُوكَبِ الْفَانِ
عَنْ الْحُضَارَةِ فِي أَكْنَافِ نَسِيَانٍ
فَضَاعَ لِحْنِي مُدَى فِي جَوْ نَسْرَانٍ
أَصْدَاؤُهُ وَفُؤَادِي طَلَى الْحَانِ



حياتي

إِذَا الْفَجْرُ حَرَّرَ مِنِّي الْجَفُونَ
وَهَبَّ نَسِيمُ الصَّبَاحِ الْعَلِيلِ
وَرَنَّتْ عَلَى رَاقِصَاتِ الْفُصُوفِ
وَلَاخَ عَلَى قَسَمَاتِ الْوُجُودِ
مَصْعُوتٌ أَتَاجِي خِيَالًا جَبِلًا
أَحَاوِلُ أَنْ اسْتَمِيلَ الْوُجُودَ
فَأَخَذَ قِيَمَاتِي فِي هَدْوٍ
فَتَخْرُجُ لِي مِنْ كُهْفِ الْحَيَاةِ
تَسْلُقُ آكَامَهَا فِي مَلَالٍ
وَأَبْقِظُ فِي الْقُؤَى الْخَائِرَةَ
يُورِّعُ أَنْفَاسَهُ الْعَاطِرَةَ
سَوَاجِعُ كَالْأَنْفُسِ الشَّاعِرَةِ
تَبَسُّمُ جَنَانِهِ الزَّاهِرَةِ
وَفِي نَظَرِي رُؤْيَى سَاحِرَةِ
إِلَى ، وَأَمَلُ أَنْ أَمْرَةَ
أَوْقَعُ الْحَانِ الْعَابِرَةَ
نَفُوسٌ كَالْأَمْهَى كَاشِرَةِ
وَتَهْبِطُ قِيَمَانَهَا الْفَائِرَةَ

وَرَنُوْا إِلَى صَفَحَاتِ السَّمَاءِ رُنُوْا الْأَصْبِرْ رَأَى أَمْرِهِ
يَقُولُ الْأَوَّاحُ وَوَحْشُ الطُّرَى يَقَايَا هَيْبَاكُلَهَا الضَّاحِيَةُ
تَزْعَجُ إِيمَانُهَا بِالْحَيْبَةِ خَوَالِجُ فِي ذَاتِهَا كَافِرَةٌ
فَتَمْضِي إِلَى وَجْهِ لَا تُحَدُّ وَتَجِدُهَا فِكْرَةٌ مَا كَرَةٌ
وَكَمْ قَادَّهَا فِي شِعَابِ الضَّلَالِ مَرَابُتٌ يَغْرُرُ بِالْبَاهِرَةِ
تَنْ أُنِينَ الْمَرِيضِ الضَّعِيفِ وَتَهْرُخُ كَالْجَيْنَةِ النَّائِرَةِ
فَيَمْضِي الْعَصْدَى فِي الْقَضَاءِ الْجُحُودِ وَيَخْفُتُ فِي أُذُنِهِ الْوَاقِرَةُ
فَالْيَقِي بِقِيَارَتِي فِي صَمُوتٍ أَمَامَ خَوَاطِرِي السَّاحِرَةِ
وَأَمْشِي مَعَ الْهَامِّينَ الْحَيَارَى إِلَى عَالَمٍ لَا نَرَى آخِرَةَ

وَيَطْوِي الظَّلَامُ خِصَمَ النَّهَارِ وَتَجْزُرُ أُمُوجُهُ الزَّاخِرَةُ
فَتَرْجِعُ مِنْ غَمَرَاتِ الْعِرَاكِ عَلَيْنَا كَوَاهِلُ الْقَاهِرَةِ
فَمِنَّا الْجَرِيحُ ، وَمِنَّا الْقَتِيلُ وَمِنَّا الْمُهَيَّأُ لِلْجَازِرَةِ
نَجُوسٌ خِلَالِ الظَّلَامِ الرَّهِيْبِ وَنَطْوِي مُوَأْجِدَةَ الْغَامِرَةِ
نَشَاهِدُ أَحْلَامَنَا الْغَارِقَاتِ وَلَنَشْهَدُ آمَالَنَا الْعَاثِرَةَ
نَحْدَثُ مِثْلَ سَحَابِ الشَّوْاطِيءِ عَنْ عَهْدِ أُمُوجِهَا الْخَامِرَةِ
وَالْمَحْ قِيَارَتِي فِي السَّكُونِ تَذَكَّرُ أَسْدَادُهَا الْغَابِرَةِ
فَأَجْلِسُ فِي رَهْبَةٍ كَالطَّيِّبِ أَعْلَاجُ أَوْتَارِهَا الْفَاتِرَةِ
إِلَى أَنْ يَذُوبَ الظَّلَامُ الْكَثِيفُ وَتَرْفَدُ أَنْجُمُهُ السَّاهِرَةِ
فَاغْمُضُ أَجْفَانِي الْمُنْقَلَاتِ وَاجْمَعْ أَحْلَامِي الْخَائِرَةِ

أغاني الربيع

يا أغاني الريح يسمُّك الكوثرُ نَ وما فيه غيرُ صاحٍ وضاحِك
 والأهازيجُ في الحافل تطفئ في جنون على صدَى صداحِك
 ينظرون الجمالَ في الزَّهرِ الغلغلة من غنيًّا في لونه من مماحِك
 ينقلون الرسوم عنها افتتانًا ناقلين الألوان عن ألواحِك
 يشربون السرورَ فوق بساطٍ مُد للهو في قداسة ساحِك
 يهيمون النصوصَ غيرَ مُبالين ن ، أصمُّوا الآذان دون نواحِك
 يقطفون الأزهارَ كي يذبذوها بعد حين ، والزَّهرُ ريشُ جناحِك
 في وُحول المسجى تزلُّ ورودٌ كلفَ نفسي على سقوط أقالِك
 كلُّ هذا . . . والناسُ بين مراح مستمدين حياتهُ من مراحِك
 تطلعُ الشمسُ في الصباح على العاني ونمضي أمامهُ كرواحِك
 كان يصبو إلى سماعِك بالأمس تُغنيهُ هوى أفراحِك
 فإذا كالمُ من ألم النَّف س غريبٌ يعني لدى إفراحِك

الحى الدفين

يا أغاني الربيع في البلاد الضاحك بالى لم يستمع لرؤيتك
 ناشر من أساه جُنْحين غاما في سماه ففطيا من فتونك
 حاور الطرف لو نظرت اليه عذت منه بحيرة في عيونك
 خافق القلب لو سمعت أغانيه و أغيرت من أصول لحونك
 خافت الصوت لو أصغرت اليه ما تسمعت غير همس سكونك
 كان يصبو إلى سماءك بالألم سر تنبئنه جديدة فنونك
 طاويا صيفه بلفحته الحرى تجلى بها لبيب أنينك
 طاويا أربح الخريف يُناجى في نواها الجلال من ياسمينك
 غاسلا مقلتيه بالمطر الفارط كالدمع هاميا من جفونك
 فاذا ما انتهى الرحيل لمغنا لك مشوقا حنينه من حنينك
 كان كالطائر الجريح وما ير قص إلا لتوحيه بشؤونك
 تندبين الشادي على فتنة الماضي فميشي بذكرات دفينك !



اللعن الضائع

يا أغاني الربيع - ما أنا إلا
لم تلبث الأيام من يتولى
أو بين الصخور يكتمل الصو
أدركت ذلك الطبيعة في الكو
وتناسته . . . والذي تناسى
من ذبول الآمال ، من مفتر اليأ
من ظلام الطريق ، من شبح الوهم ، وفقد الوجدان يطبق جفنه
يا أغاني الربيع . . . عندك وزن
كان يصبو إلى سماعك بالأم
فإذا العود لا يردد لحناً
والربيع الجميل في وحشة الأطلال ذاور ، فليس يجمل لونه
موحش في الصباح ، في وضوح الشمس ، وليل الآلام حين يحنه

مقطوع من قصيدة ضائع لحنه
بنت لحنى ، وكيف ينزع شأنه
تألم حال هذا ، وكنت أظنه ...
ز ، فأغضت عنه ، فأجل حينه
في شروق الحياة يوشك بيئته
س ، وطيف الآلام يشرد ذهنه
للنشيد الذي تنومى وزنه
س ليصحو من رقد الموت فنه
وإذا القلب ليس يسمع أنه
فليس يجمل لونه
في وضوح الشمس ، وليل الآلام حين يحنه



القلب المحطم

يا أغاني الربيع إن جاء شاكراً من ربه الودي هنا ينظّم
هل يُلقَى عزاءه ويُسَلَّى أم تزيد الآلام فيه وتمطّم ؟
ما أظنّ الحزين يطربّه الشدو ، ونارُ الأحزان فيه تضرّم
جاءك اليوم هاتفُ الأمل يشكو ، نفماً حائراً وقلباً محطّم
صامتاً — كالدموع — أصدق تهيراً ومغزى منه إذا ما تكلم
يا أغاني الربيع جاءك يطوي صُحفَ الأمل ها هنا ويسلم
هاك قينارة الحياة عليها أثرُ الدمع والامى والتألم
جَنَّةُ الأمل من ربه تلاشت وزادت عن جانبيه جهنّم
حطمتْ متهُ المني ، وهل عاش قلبٌ في طِلاب المني يهيم منعم ؟
عاد يُلقى هنا هواه ويفنى في أساه بقلبه المتحطّم
فإذا حطّ جسمه فتردّي فادفنيه في حُبّه المتهدّم
واندبسه فطالما قد تفنى بجمال الربيع ... يا كم تَوَسَّمتُ



الشكوى الصامتة

يا أغاني الربيع لو هتف الصامتُ يوماً أتتسعينَ اليه
أسكتته الأيامُ ، وانكسر الفصنُ فراح الهوى نواحاً عليه
بعد أن ظلَّ عازفاً أغنياتٍ أسكرته إذ أغممت مسمعيه
كلّما أطرب الأنام استعادوه مراراً ما فات من لوعتيه
وهل الناس يدركون ملياً أن قلباً يذوب بين يديه
إن تجفّ الدموعُ في أعين الناس فهيات أن تجفّ لديه
كان يصبو لو ردّدت شفتاك يا أغاني الربيع في أذنيه
ما تعيدُ الطيورُ وهي على الجدول تهفو وفي حمى ضفتيه
كان يصبو — وكم له من أمان — قد توارت ولم تجز شفتيه
ولقد جئت حين صمّ عن الكون ، وران الكرى على جفّنيه



جرح الآلام

يا أغاني الربيع لو عاد للشباب
أفينسى الآلام حرقفت القلوب
أفينسى ما كان من لوعات؟
أفينسى ما كان من إعراض؟
أم تظن الآلام تكمن فيه
أيلاقي هوائه بالقادم الثاب
ما أظن الإفاء يندب إن
وكذاك النفوس يقهرها الشيب
إن جرح الآلام أخلد في النفس وأبقى من ذكريات الصفاء
لا تهب القلوب أكثر من حبيب ، فإن زاد فهو حب المرائي



الصدى الخافت

يا أغاني الربيع حوَّلتُ سَمْعِي نحو قلبي ففيه أصداء رَوْحِي
 إنَّ يَكُنْ خافتاً غناءً فَوَّادِي فهو يسري إلى الشَّهَى في وَطْوَحِ
 ضَحْكَةُ المابث الطروب تَوَلَّيْ ثم يَبْقَى تَأَوُّهُ المَجْرُوحِ
 يَبْلُغُ المَصْمُ في الجبال الرواسِي والصدى الحى طائِفٌ في السَّقُوحِ
 يا أغاني الربيع حوَّلتُ سَمْعِي نحو قلبي ولوعتي وجـ رَوْحِي
 قد سَمِعْتُ الأهازيجَ يَنشدها النَّاسُ بِجَهْلٍ مضاعفٍ مفضوحِ
 وتطلَّبتُ من فَوَّادِي شِعْراً غيرَ شعر الوري بعيدَ العُطُوحِ
 لا أَبَالِي أكان يسمَعُ النَّاسُ ، أم كنتُ مُنشدّاً في صُرُوحِ
 لا أَبَالِي أكان يفهمُني النَّاسُ وشعري مجرَّدٌ عن شروحِ
 أم تراءى لهم كالأفازِ سَحَرٍ مبهجاً غامضاً وغيرَ فصيحِ
 يا أغاني الربيع حوَّلتُ نَفْسِي أغنياتٍ من قلبي المَقْرُوحِ
 هي لحنى أضعفتُ في فضاء مَيِّتِ الحسِّ والصدى كالضريحِ



جفاء الطبيعة

الشمس تنزل في الغروب ، وقد توردت خدتها

لتقبّل الأفق البعيد ، وقد تسهرت وجدها

تُخفي الأمي خلف النخيل

مثل ابتسامات العليل

حتى اذا احتجبت تماماً خلف أستار الأفق

وزا كضت زُمرُ النهار ، وأسرعت زُمرُ الشفق

نزل المساء برّجه

وجرى الظلام بجريه

حطّت على كآبة : كالنمر حطّ وقد وهى

لم أدر كيف تملأت للنفس مدّت ظلّها

أمن المساء ولونه

بحكى الضليل بحزنه

أم من أفانين الحياة ؟ وآف من تفكيرها !

دوماً تُساورها الشكوك ... فأو من تغييرها !

ندعُ النور على الثرى

من بعد مرتفع الأذى

لا بدَّ أن وراءها مرّاً وإني أُرهبُ
ما ذا تريد كآبتي ؟ ما ذا تُسيرُ وتُحجبُ ؟

النجمُ يهـ ————— ابو شاهيا
هلاً يحسُّ إيماءها ؟

وتبعثتُ بعضُ النجومِ كما تبعثتُ الفكرُ
يلهو بها عديمُ القرارِ كأنها بعضُ الشررِ

نثرتهُ أنفاسُ الهواءِ
فطار من دوت إلهتاء

أولستُ من هذى الطبيعة بعضها كالنجم منها ؟
فلعلَّ أشجانِ النجومِ تلقفتها النفسُ عنها

فاذا مضى شجنُ النجومِ
تسرى عن النفسِ الهمومُ !

وأنتُ على وجهِ الهلالِ سحابةٌ تهجبتُ سناه
فشعرتُ أن كآبتي في القلبِ هدّتْ من قِوَاهُ

فلعلَّ إنْ مضتْ السحابةُ
تمضي عن النفسِ السكابةُ

وجلسْتُ أدعو ذكرياني من مراقدها الهنيئة
كما تطارد ما أحسُّ به من الرهبِ القويّةِ

لكنّها بؤسدتُ كما
بمُدَّ الخيالِ إلى السما

وشمرتُ أني قد فُصِّلتُ عن الطبيعة وانقردتُ
فزهتُ أسارى النجوم وحدثتُ من بعد صمتُ

تلك الربوع بُسورها
فسمتُ بلاغة نورها

وزها الهلالُ . وكنتُ أحسبُ سيطوى بين يأس
وجدتُ مباحجها الطبيعة بعد فقير ، ما لنفسى !

فقدتُ مباحجها ولما تهدير
لا اليوم يكشفها ولا قلبُ القدير

فهل الطبيعة لا تحسُّ بما تحسُّ ، ومنها نأسي لها
أم أنها عافت مصاحبة الأناسي في الحياة ؟ وما لها !

قد أنكرتني بعد ما
تركنتى أرتشف الأمتى

تركنتى أرتشف الامى حتى سكوتُ من الرضابُ
هل كان ذلك حقيقة ، أم كان أخيلة السرابُ

فأنا الحزينُ من البداعة للأزل
حتى الطبيعة ينطوى فيها الأملُ

فتملّكى ماشئتِ أيتها الكآبةُ من فؤادى
مادام حتى الأمّ تمنى فى التجافى والبعادِ

فالطفل قد فقد الحنان
بين الطبيعة والزمان

دعيني !

دعيني ، وضئي بأخر ما تمنيتُهُ قد سَمْتُ التَّغْنَى
دعيني لنفسي أعاني شجاءها ولا تحزني لشعوي وحزني
ولا تذكريني إذا ما شمرت بأن التذكر دالا سيضني
وإن حبيبتي شئون الحياة فلا تسألني عن نهاية بيئي
ولا أين رُحْتُ ؟ ولا كيف أحياء ؟ ولكن دعيني دعيني وشأني ا
وضئي بكل الذي تستطيعين أن تمنحينيهِ بعد التجني
فإذا يفيد الفصون — إذا سلّتها الزهور — لطيف التّغني ؟
وماذا يفيد السكون الجميل إذا فقد السكون صوت المغني ؟
وهل تنفع المود أوتارُهُ إذا لم تُهزّ لترديد الحن — ؟
وهل يملك الشعرُ ألبابنا بغير هموم ، ومن دون وزن ؟
وهل ينفع البرء عند الوفاة ولم يعرف الموت معنى التائي ؟

دعيني وحيداً أواس القلوب إذا ما اتّغني لتأخذ غني
أعلمها سفريات الحياة لتنتقل غني شجوني وأني . . .

محمد إسماعيل

الحيارى

دَسَبَعْنَا بِالْفِكْرِ عِنْدَكَ يَا رَبِّ
 شَدَوْنَا مَا قَدْ شَدَوْنَا وَلَكِنْ
 عَرَفْنَا مِنْ الْخِيَالِ مَعَانِي
 مَعْنَاكَ فِي الْفَجَائِرِ نُوحِي
 نَهْلَاهُ وَاسْتَمَعْنَا إِلَى مَا
 رَأَيْنَاكَ فِي الظُّلَامِ مُضِيئًا
 رَأَيْنَاكَ فِي الْجَمَالِ وَلَكِنْ
 تَقَدَّرْتَ أَنْ نَعِيشَ حَيَارَى
 فُسُحُ نَهْمَسُ الرِّغَابُ فِيهَا
 صَرَاعِ الْجُسُومِ تَنْتَقِلُ
 تَهْدِي الْجُسُومَ كَأَن مَفَا
 نَتَمَعْنَا مَعَ الْخُلُودِ بِسَمَرِ
 فَتَاهَتْ أَرْوَاحُنَا فِي سَمَائِكَ
 ضَاعَ هَذَا جَمِيعُهُ فِي فُضَائِكَ
 ، وَغَابَتْ عَنَّا مَعَانِي جَلَالِكَ
 مَا يَهْزِ الْقُلُوبَ مِنْ إِحْيَاكَ
 يَلَا الْجَوَّ مِنْ صَفِيرِ هَوَائِكَ
 فَشِينَا بِهِ حَيَارَى ضِيَائِكَ
 لَمْ تَقْدَرْ لَنَا حَيَاةَ الْمَلَائِكِ
 وَالْحَيَارَى هَذَا ضَعَايَا قُضَائِكَ
 تَهْمَسَاتِ الْكَفَاحِ وَالْجِسْمُ شَانِكَ
 أَرْوَاحُ تَرْجُو الْهُدُوءَ عِنْدَ جِوَارِكَ
 مَسْتَمِدَّةً جَلَالَهُ مِنْ صَفَائِكَ
 دُنُوبِي وَصَلْتُهُ بِسَائِكَ



الفر

أنا الرّوضُ لكن أنكرتني جداولُ
أنا الفصنُ لكن باعدتني بلابلُ
أنا الأفقُ لكن جاتبتني أصائلُ
ولاحَ مع الفجرِ الجميلِ تجاهلُ
ومرَّ بي الإصباحُ يبدو تغافلُ

فصوّحَ هذا الرّوضُ، وانكسرَ الفصنُ وأصبحَ هذا الأفقُ مجهلُ القينِ !

فأين خيرُ الماءِ ؟ أين الجداولُ ؟
وأين رنينُ الصّوتِ ؟ أين البلابلُ ؟
وأين الصباحُ الفصنُ ؟ أين الأصائلُ ؟
وأين مضي الفجرِ الجميلِ الخائلُ ؟

أنا الواحةُ المجهولُ بدءُ طريقها
تسرُّ إلى الشمسِ بجوى شروقها
وتمنحنى في الغربِ كأسَ غبوقها
وتلتقى على الزهرِ معنى بريقها
وتأمرني الأحلامُ مثلَ مشيقها

ولكننا الصهراءُ تدفنُ قاصدي وتُفسيِدُ حَبَّاتِ الرمالِ موائدي !

لقد مرَّ بي جيلٌ من الدهرِ غافلُ

وتاهت بالهائم الصحاري قوافل
يعرّض بالجمادي مراب مخايل
وتحصى سنون الجهل حول تداول

أنا العابر الملاح أبهم ساحله
وقفت على موج الخضم أسأله
عن الساحل المجهول ضاعت دلائله
وبانت عن الملاح طرأ مخائله
فثار على الموج ، قاس تحامله
وخطمت الريح الغشوم سفيني وهل في مشار الحرب يجدي سكينتي ؟
لقد غمر الموج الغضوب الشواطئ
وغطى جميع الصخر إلا النواتئ
لقد جاءني جيش الفناء مفاجئ
وبي رغبة في العيش ، فلا مضر هارئا !

سأهزأ بالإصباح إن جاء ناعما
وأهزأ بالإصباح إن جاء غائما
وليلي سواء أن دجى بي ساهما
كثيبا ، وإن أبدى النجوم بواسما
وإن جاء دهرى غاضبا ومسالما

أَسْتَفِرُّ مِنْ دُنْيَايَ دَوْمًا فَتَرْتَدِّي نِيَابًا مِنَ الْحَقِّ الصَّرِيحِ فَأُغْتَدِي
 عَلِيًّا بِمَا خَلَفَ النِّيَابِ ، وَمَا ذَرَّتِي
 مَا تَطْمَسُ الْأَثْوَابُ مِنْ خُدْعَةِ الْوَدَى
 سِوَى الْهَازِيهِ الْمُخْفَى عَلَى كُلِّ مَا يَرَى
 لَقَدْ خَبَّرَ الْأَفْكَارَ مَنْ عَاشَ سَاخِرًا !



النهاية

يا ظلمة الليلِ رُدِّيْ نَجْمَكَ الزَّاهِرُ	كفاني اليوم اني نائمه حائر
أطوفُ من عالمٍ تطنى موجةُ	إلى سواه فأتى موجةُ نائره
سفينةٍ حطمتها الرِّيحُ فاقتنمتُ	نفسى ببعض شراعٍ سابعٍ خائره
يُلْقِي به الموجُ نحو الشطِّ ينقذني	والشطُّ كالبحر يطوى البائس العائره
خلصتُ من غمره الدنيا لحيرتها	وتبدأُ العمر في الآلام كالآخر
يا ظلمة الليلِ واسيني بأجمعه	كفاني اليوم اني نائمه حائر



الشاعر

(١)

ها هو الفجرُ من خلال الستائرُ في جلاله كأنه وَحْيُ شاعرٍ
مُقبلٌ فاتنٌ الملامحِ ساحرٍ
فصر الكونَ مرهً وتجلّى فجبنا الكونَ عنده يتملّى
ما أناه الظلامُ حين تولّى

فإذا الجوُّ غارقٌ في اهتزازٍ كاهـتزاز الأوتار دون نشازٍ
وخفوقٍ . . . لـكنّه باعترازٍ
عزفتهٌ صواحٌ قدسيّةٌ تتفسيّ أنشودةٌ أبديةٌ
أيُّ لحنٍ هذا؟ وما الأغنية؟

رنّ صوتٌ كأنه لحظُ عينٍ أو كحلمٍ حلّوٍ يطوف بجفنٍ
أو كمنّي سامٍ يمرّ بذهنٍ
فتجلى للسامعينَ فناءٌ وتمشّى في النائمينَ رجاءٌ
فتمسّوا قوّةً مسرّعينَ ظمأً

(٢)

فَلْيُطْلَقِ السَّاعِرُ

الشاعر :

أنا طيفٌ آتٍ من الفردوسِ أنا همسٌ يسمو على كل همسٍ
أنا حُلُمٌ يجول في كل نفسٍ
أنا نورٌ جهلتموه زمانا أنا روضٌ جهلتموه مكانا
أنا وحيٌ لم تدركوه عيانا

من خلال البريق من عين آدم إذ تراءت حواءُؤه بين عالمٍ
ليس فيه إلا الخلودُ ، ويا كم
كان أصلاى فيه يختلسان نظراتي كُنَّ ابتداء كياني
جئتُ منها بثروة من معاني

عالجَ النطقَ جذكم فأناهُ وحيٌ ربِّي فدَّ في نبواهُ
فاذاهُ يبنشها شكواهُ
وإذا بي أنا الحديثُ المصنَّي وإذا بي أنا الجوابُ الموقَّي
أنا ذاتُ أعيتكم العمرَ وصفا

خلقتني مشيئةُ الله كيما أتغنني بحُسينه الحق دوما
من ضروب الجبال كُوتُ نظما

فإذا بي أنا الذي نسمعونهُ نسمعون الشادي ولا تذكرنهُ
وتغنون عنه ما تجهلونهُ

أطلقتنى فى جنة الخلد حُرّاً أنشد الطير والملائكة شعرا
لتفنى عني مدى الدهر سحرا
خليلين ذوّبا قلبين حُبّ روح حُبّ فكر وعين
لو يدوم الخلود للخلّين !

لو يدوم الخلود للخلّين ما عرفنا معنى الأسمى والبين
أو عرفنا الحياة تُبلى وتُفنى
غير أن الأمّ التى أنجبتكم جرّت الهمّ والشقاء عليكم
فإذا الحسنُ بات يطنى ويحكم !

نبيّ الله فى الهوى وعصاه وأطاع الحسناء فيما نهاهُ
فاذاه عن عدته أقصاه
ربّ كم ذلّ للغرام أبى ! ربّ كم شابّ فى الغرام فتى !
وتراعى ضعفاً لديه القوى !

فى سبيل الجمال طاح نعيمٌ فى ظلال الغرام هانّ كبريمٌ
فعلى من ندعو وإيّاً نلوم ؟

طعنة الحب ما لكم منه جنة نظرة الفيد أغلقت أمس جنة
نحن أسرى وفي يديه الأجنة

(٣)

مخرج آدم ومواء

في صباح الخروج ودعت آدم وهو يهوى بوجه نحو عالم
محبوب صامت صميق الطلام
بشيد بنيت فيه حناني وغناؤ أذيت فيه جناني
مع الله في العلى الحاني

فأسال الحنان في الأرض يصرى أنهرأ عذبة وعطراً زهر
وضياء يفتح من أجمع فجر
وابساماً على الرثي واللال وجمالاً بلوح بملة حال
بطلع الفن من وراء الظلال

(٤)

آدم ومواء على الأرض

هبط العاشقان في الأرض صبتا ثم هاما يستظلمان الحياة
بين عينيها ضياء من الله ومنه ابساماً في الشفاء

آدمٌ حالمٌ بماضيهِ ، في الأَر فنـ ، ومُستسلمٌ لأخْلِ رُؤاهُ
وابنةُ الجنةِ المُخيلةُ ساقيةُها تروى سحيدةً من هواءِ
تذرعُ الأفقَ نظرةً تتجلى في سناها رغائبُ في الحياةِ
ليس يمضي بها الحنينُ لماضٍ نعيمتُ فيه ثم ولّى سناءُ
كلُّ أرضٍ ترى الغرامَ عليها هي رَمَمَ لعالمٍ ودَّعاهُ

(٥)

الوهره

باتٌ وحدي أجوبُ في فردوسِي فأراها غريبةً دونَ هَيْئِي
غَيَّرْتُ جَنَّتِي كَأَنِّي نَفْسِي
فتراوت كغابةِ الآسِادِ فَلَائِمًا سحابةً من سوادِ
مثلَ حَسَناءَ في ثِيابِ حِدادِ

تُخَيِّرُ الصمتُ والوجومُ عليها وسرى اليأسُ والمَلالُ اليها
أَنُراها تأسى على نازحِيتها
ما الصوتُ الهزارُ أَمسى نعيها ما لوجهِ الجنانِ باتٌ كئيبا
ما لأطرافها يزدنُ شعوبا

ما لروحٍ يضيقُ أفقُ حِماها ما للعنى يضيقُ في لجواها
لَسَكاني أُنسى طيوفَ رُؤاها

كم شربتُ الحنانَ من مُنْقَلَبِهَا وقبستُ الضياءَ من مُنْقَلَبِهَا
ورأيتُ الجمالَ يحنو عليها ١٩

يا إلهي أعدْ إلى فردوسِكَ أثرَ الحبِّ من قرارة أميكِ
أخفى فيها الشمورَ من طرف لميكِ
بعد ما كادَ أن يذوبَ النورُ ويغطِّي بطاهاها الديجورُ
ويؤدِّي في قيده المأسورُ

يا إلهي علامَ تخلقُ جنَّةً آيةَ الحُسنِ ، والمحسنِ فِتْنَةً
ثم تقضى فتعزم القلبَ فَنَةً ٢٠
فأمحُ منها الجمالَ والإغراء أو فدعنا هنا نعيش هباء
نجدُ النبتَ ثم نحيا ظمأ

يا إلهي أعدْ إلى جنَّاتِكَ قدسَ النورِ من سنا بسماتِكَ
أو فدعني أزلَّ في هضباتِكَ
لا تدعني هنا أعانق حُلماً لا تدعني هنا أعاقِر وهماً
إنَّ وَجْهَ الجِنانِ بُدِّلَ جَهْماً

ظلمُ الليلِ في جنَّاتِكَ تغشَى وتغطِّي بظِلِّهنَّ العرشا
ثم تغشى إلى مكاني وجْهًا

فأكبح الوحش عن جنائك وامنع
شبح الهم أن يُلمّ فيقطع
وأعد لي ذاك الصفاء المُضَيِّع

(٦)

الجنة الخاوية

أودعتك القيثار يا خالتي	ورفت هذي الجنة الخاوية
سممت الحاني وإنشادها	ورفت أحلامي وأطيافيتها
خاقت فيها من جمال الرؤى	عرائسا أرواحها سامية
فتانة ترقص في بهورها	وتعصر الازهار في كاسية
وتلشد الأنعام قدسية	رنيها أصداء أنغامية
أهذه الجنة حوّلتها	يا رب من روض الى بادية ١٩
أجلد الشاعر في جنة	أصداءه في أفقيها فانية ١٩
ما قيمة الفردوس إن لم يندع	فيها عبير الأَنْفُس الصافية
سممتها يا رب ، واستثقلت	روحي حياة الجنة الخافية
عبوت للدنيا وسكانها	فانت فيها أنقسا واعية
توجم الأصداء في مبعي	فتدريج الأصداء أحلامية
يا خالتي عفوك عن ثورتي	رغائي تهتاج في ذاتية
أرضيتي نطفي بأمواجها	على صرامي روعي الصافية

(٧)

على أبواب الجنة

الله :

يا شاعري في الأرض ما لم تذق كؤوسه في جنّتي الغالية
من وقدر النيران كوثقها ومن صراخ الأتقى العاصية
جوّالة في الكون لا تهتدي إلى بين الظلمة الفاشية
ما نورها إلا بروق ، وما جالها إلا رؤى سارية
وما قصيف الرعد في قُرّها إلا نذير النعمة الطاغية
وما زفيف الريح في جوّها إلا صدى أصواتها الناعية
في جوفها ألهبت أحشائها وفي فضاها اللفحة الحامية
ظلمة للرّبي من كوثري وإن مرّت أنهارها جارية
وما درى سُكّانها أن في ربوعها مربّأ إلى بابية
لكنا الشهوة أعمهمو عنه وقادتهم إلى الهاوية
فخذ من الجنة فيشارني وانزل إلى الأرض بأنقاصية
خفف عن المستعب آلامه واسبل عليه رحمتي الحانية
أنشده في بلواه أنشودني وهزّه عن جنّتي النائية

يا شاعري أنزل واحتمل بؤسها وعد إذا ما شئت لي ثانية

ستلمسُ الآلامَ يا شاعري تسمى على وَجْهِ الثرى باغية
ما أُعجبَ الإنسانَ في جهله أسيرُ تلك الرفقة الخافية
لم يَجُنْ من فردوسه زهرها وقد جنى أشواكها الضاربة

(٨)

الشاعر في الدرس

الشاعر :

عجبتُ لسكان هذا الوجود	ضحايا ولكنهم يحبون
تبددُهم سُخرياتُ الحياة	وتجهمهم سُخرياتُ المسون
تهوّنهم من جهود الصغور	وشهوّنهم من ضرام الجنون
بنيت لهم من جنان الخيال	فراديسَ ترقص فيها الفنون
فراحوا بجنّتهم يهزأون	ومالوا على سُورها يهدمون !
وانشدتهم من أغاني السماء	أناشيدَ نزعزقُ للخالدین
فضاعَ الصدى في فضاء الحياة	وذابَ الشيدُ وهم يصخبون
وهدّتهم عن جنان الخلود	فكانوا بقيعتها ساخرين
وقد عفت من أجلهم جنتي	وضحيت من أجلهم بالثمين
أعيش أشاطرهم بؤسهم	وأملأُ كأسى عصير الشجون
أفارقُ دنياهم بالآنين	وأرجعُ من جنتي بالسكون

وأهلُ منها رسومَ الجمالِ وأنقلُ منها ظلالَ الفتونِ
أقربُهم من حياة الجنانِ وإنْ أنكروا نعمتي جاحدينِ
إذا رغبتُ عن أرضهم نومةً فلي رجعةً لهمو بعدَ حينِ
تنزهتُ عن مادياتِ القناه وإنْ كنتُ في الأرض كالمُهْدَكِينِ



السحابة المغفرة

سحابة كالصَّبَّ في جوفها	ما في فؤاد الصَّبِّ من وَجْدِهِ
تغشى الهَوَيْنَا كالجَهِول الذي	يسير مَرْهُوًّا على كَلْبِهِ
كثيبة كالْمُسْتَبَدِّ الذي	يؤذُّ لو يَأْتِي على ضِدِّهِ
وجناء كالْجَانِي ، تراثُ له	خفائرُ الْقَتْلَى وفي قَيْدِهِ
أفقى تساقبه الرَّدَى ، فأنثى	يكسر الصَّمَامَ في غَمْدِهِ
حُبْلَى ولكن لم يَحْمَنَ وَقْطُهَا	جَنِينُهَا حَيْرَانٍ في مَهْدِهِ
مرَّت بطَوْدٍ شامخٍ يرتقى	إلى عَنَانِ الْجَوِّ في بُعْدِهِ
ففاظها أن لا يَبْـالَى بها	فَأَقْسَمْتُ لا بَدْءَ من هَدِّهِ
لا بَدْءَ أن تَنْبِيهٍ عن غَيْبِهِ	فإنَّهُ قد ضَلَّ عن رَشْدِهِ
قد ظنَّ أن المِجْدَ في رَأْسِهِ	لا بَدْءَ أن تَأْتِي على مَجْدِهِ
تَقَدَّمتْ مِنْهُ وفي صَدْمَةٍ	سَريعةٍ بادت على صِلْدِهِ
هَوَتْ من الجَوِّ رِذَاذًا على	جوانب الطَّوْدِ إلى كَبْدِهِ

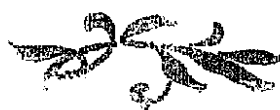


البسات الساخرة

برّفمك مثلي أيها الزهر تفتدي
وتوفى على الدنيا وفيك ابتسامه
وما بسمتي إلا مقالة ساخرة
وليس يُجاذي الدهر في حال غدرة
أتبسم مثلي هازئاً مترفعاً
خلصت من الآلام لا بل تعددت
نجوت من القيد المذل ولم تعد
فطير عن حماك الآن... لست بنائل
إلى أن يمر القاطنون فتنتهي
نعم! أنت مثلي أيها الزهر مرفعم
وما العطر إلا أنه وتوجع
يفنّي شجى القلب والناس حوله

إلى الكون من أكامك النضرات
تعبّر همّاً عبّرت بسماتي
خلت من صبر النطق والهمسات
سوى بابتسام ساخر وثبات
ترى؟ أم حياة الزهر غير حياتي
عليك ، ولا تدري الذي هو آت
تحبّبك الأكام منطبقات
خلاصاً ، وما الأغصان غير حماة
إلى عالم مستبهم الظلمات
وما هذه الألوان غير شيبات
كأصداء أنفاسي ورجع شكائي
طروبين بالإشراق والنفات

زدّد في أفق الرياض صدى الذي
ومال جميع الزهر في خطراته
أقول ، وشاع الحزن في كلامي
وذرف من دمع الندى قطراته



موت عزرائيل

في الزمان المجهول ، في كنف الغي
 حيث تبدو الدنيا كأول عهد
 قد توارى سكانها وتخلوا
 في خرابها فيها فينشق يوم
 في رياضها فيها فتراح نفس
 قد توارت أنهارها ، وتلاشى
 يس فيها إنس يبيت وجن
 ماحة يخطر السكون عليها
 في زمان ساعاته تتوالى
 و نهاره يمضي ، ليعقب ليل
 سكنت ومجها فليس تدوي . . .

ب ، وحيث الرجعى ، وحيث المقر
 أنشئت فيه : بلقما لا يسر
 فتساوى كوخ لديها وقصر
 أو غصون فيها فينشيد طير
 لا زهور فيها فينشيد عطر
 كل حسن منها ، وغيب سحر
 ليس فيها وحش يحوب ونسر
 لا ديب ، لا همسة تفسر
 فتواري عصرا ، ليعقب عصر
 أو ظلام يخفي ، ليطلع فجر
 عالم مات الطبيعة صفر

نظر الله للدني فرآها
 مثل رأس في القبر ، كانت قديما
 نام عنها شر تولد فيها
 وتولي منها بنوها حيارى
 اسلمتهم للجهد والكد حتى

قد تالشت آثارها فهي صفر
 مهد فكر يغزو الدني وهي سر
 واختفى غيبها وكان يغمر
 لم يفيدهم جمع هنالك وفر
 اسلمتهم لراحه هي أمر

أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ ظُلْمَةٍ فَأَذَانٌ بِمَدِّ حَيْنٍ فِي ظُلْمَةٍ هِيَ قَمَرٌ
أَخْرَجْتَهُمْ مِنْ غَيْبٍ فَأَذَانٌ بِمَدِّ حَيْنٍ فِي عَالَمٍ هُوَ قَبْرٌ ...
نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهَا فَرَأَاهَا لَيْسَ فِيهَا إِلَّا خَيْالٌ يُحْمَرُ

« إِيه ... عَزْرِيْلَ أَهْلِ تَوَارٍ وَأَهْلِيهَا وَتَلَاشُوا عَنْ هَذِهِ ... وَاسْتَقْرُوا !
وَاسْتَرَدَّتْ أَفْلَادَهَا مَنْ نَحْتَهُمْ ؟ ... »
« قَدْ تَلَاشُوا أَمْوَالِي ، وَانْقَضَ دَهْرُا »

« إِيه ... عَزْرِيْلَ أَحَبُّكَ الْآنَ دَانِي فَاغْضِرْ وَاجْعِرْ مَا لَسْتَ مِنْهُ تَقَرُّ »

فَضَى خَاشِعًا وَفِي يَدِهِ الْمَدِّ جَلُّ يَهْتَرُ ، فِيهِ يَأْسٌ وَذَعْرُ
حَاوٍ الطَّرْفِ فِي الْقَفَارِ كَثِيبًا أَرَاهُ مِنْ مَوْتِهِ يَقْشَعُرُ ... ١
قَدْ أَذَاقَ الْمَوْتَ الْخِلَاقَ طَرًّا فَلْيَذُقْهُ ! ... فَلَمَوْتُ حُلُوٍّ وَمُرُّ
وَتَرَامِي تَفَكِيرُهُ فِي تَوَاحٍ كَانَ يَسْمَى فِيهَا فَيُحَسِّمُ أَصْرُ
خَادِعًا يَهْبِطُ الثَّرَى فَإِذَا فِي قَبْضَتَيْهِ : « مَهْرٌ ، وَهَرٌ ، وَهَرٌ »
مُحْزَنًا يَبْعَثُ الْأَمَى حَيْثُ حَلَّتْ قَدَمَاهُ فِي غَتْنِي مِنْهُ بِإِشْرٍ
قَدْ تَرَامَى تَفَكِيرُهُ فَإِذَا هُ تَمْبَهِيرًا مَسْرَحًا مَرَاتِيهِ كُنْتُ ...
تِلْكَ أُمَّ غَمَّتْ حَشَاشَةُ قَلْبِي بَيْنَ صَدْرِ يَخْفَى الْأَمَى وَيُسِيرُ
قَدْ تَمَالَتْ أَنْفُسُهَا دَعَوَاتٍ فَإِذَا الْمَوْتُ بِالْحَيَاةِ يَمُرُّ . . .
وَكَبِيرٌ قَدْ عَاجَلَتْهُ الْمَنَآيَا فِي فِتَاوٍ بِالشَّيْخِ كَانَتْ تَبْرُ
يُرْجِيهَا فِي آخِرِ الْعَمْرِ كَمَا تَتَوَلَّى إِغْمَاضُهُ فَيَقْرُ ...

وفتاة طاح الردى بذويها فاذاها إلى الشقام تُجبرُ
 وحبيبٌ يشتاق رؤيةَ وجهِ فاذا الوجه في الثرى مستقرُ
 وأزاهيرُ في الكائنات راحت دون ريثٍ ، وفي الأزاهر عطُرُ
 وبلادٌ أصابها في زعيمٍ كان تُنوي إليه إن هبَّ شرُّ ...
 وتوات رؤى ضحاياهِ تبدي صورَ الهول وهو أسودُّ ثُكُرُ
 هل هذى الأصباح كانت سراعاً في خيال الموتِ الكئيبِ نمرُ

ثم حان الوقتُ الذي ليس منه في محيط الأقدار يوماً متفرُّ
 فدَوَّتْ صرخةٌ فادت لها الأر ضُ وطافت أصدائها لا تقرُ
 ودَوَّتْ صرخةٌ فأملم فيها ملكُ الموتِ رُوحَهُ تستقرُ



ظَلَّان !

ظَلَّانِ أَطْلُبُ إِيَّانَا	من جدولٍ مَلَمَّالٍ
يَجْرِي مَعَ النَّوَرِ حُرًّا	حُرِّيَّةَ الشَّالَالِ
يَسِيلُ بَيْنَ دُبُوعِ	حُورٍ ، وَتَحْتَ دَوَالِ
وَبَيْنَ وَارِفِ ظِلِّ	من النخيلِ عَوَالِ
وَبَيْنَ يَانِعِ زَهْرِ	مُنَوَّعِ الْأَشْكَالِ
يَنْسَابُ كَالْحُلُمِ حُلُومًا	مَا بَيْنَ أَصْفَى ظَلَالِ
مِيَاهُهُ مِنْ نَوْرِ	تَطْفُو عَلَيْهِ لَأَلِ
وَنُبْمُهُ مِنْ فَوَادِ	من السَّكَادَةِ خَالِ
تَهْوِي النُّجُومُ إِلَيْهِ	من بُرْجِيهَا الْمُتَعَالِ
لَتَسْتَحِمَّ وَتَمْلُو	فِي مَوَكِبِ الْأَجَالِ
وَيَسْكُبُ الْبَدْرُ نُورًا	عَلَيْهِهِ كَالْآمَالِ
وَتَضْفَرُ الشَّمْسُ فِيهِ	شَمُورَهَا بِدَلَالِ
مَا فِيهِ إِلَّا سَفِينٌ	تَجْرِي مَدَى الْأَمِيَالِ
مُسْتِيرَاتٌ بِرُوحِ	فُلْدَسِيَّةٍ ، وَجَلَالِ
مُحَمَّلَاتٌ بِطَيْبِ	من عَنَابِ الْأَجِيَالِ
تَشْدُو عَلَيْهَا قِيَانٌ	مُخْلِقَةٌ مِنْ خِيَالِ
إِنِّي مَسَّهَا اللَّحْظُ ذَابَتْ	ذَوْبَ الْأَمَانِ حَيَالِ

ظلماني ، ظلماني لكن طلبت ما هو غالي
ظلماني اطلب هذا فهل تجود الليالي ؟

استرح يا قلب !

استرح يا قلب ، واهداً ربما عادت الأيام تستوحى الضمير
فترها بعد غد قد صفت مثلها يصفو مع الليل الغدير
ونزاه في ابتسام بعد ما عبت حتى ترات كالتعبور
ونزاه تدفع اليأس الى حفرقة ليس له منها نشور
ونزاه ، ونزاه . . . ليت ما تمنى تنجلي عنه المستور
فاسترح يا قلب ، واهداً ربما
أوت^(١) الآن لنا هذي السما

آه يا رب ! وهذي كل ما ينطق القلب به ، لا من في
إنها كالروح سر غامض أورتشيد ليالي الأنعم
آه يا رب ! وكم أساو بها فهي من ماضي غرامي مغمى
لنظة الغارق في آلامه يربحي الشاطيء بين الظلم

(١) أوى له : رفق وأشفق

فلت الأحرافُ فيها ، إنما كثرَتْ فيها معاني الألم.

آه يا ربَّ ! أمانىً اختفت كاختفاء الأمل في الماضي البعيد !
هل لها من عودٍ يا ربَّ أم أنها كالأمل ماضٍ لا يعود ؟

لم يزل سرُّ حياتي كامناً في خفايا الغيب حتى يعلمها
والذي قدره الله لنا مُتَكَنّاً بين أطباق السما
فاسترح يا قلبُ ، وأهدأ ربما
أوتِ الآن لنا هدى السما !



انفردت !

يا فتوادي بمد إيناس الأمانى انفردت !
ثم جئت الآن تشكو ما تمنانى هل عرفت
يا فتوادي سر آلام الحياة ؟
إنه الحب إذا ولتى سناء

قد نأى عنك الذى شاركته فى الصبا
لذة الحب ، وكم ساقبته إذ صبا
لهوى من دون ما يدري الهوى !
يا فتوادي قد جفا ، وتنامى ، واجتوى
فانفردت

سأله عن ملأه ، واجت مضاه
عن ملأه ، ودع الدنيا له
قد فقدت

كل لذات الحياة
وانفردت الآن ... آه !
انفردت !



كآبَى

كآبَى ماذا وراء الأفق قد قطَّبَ الإحساسُ منى الجبينِ
وطاف في عيني لَوْنُ الشفق وما هي الظلمةُ تطوى الجفونِ ؟

قلبي غدا كالغابة المقفيرة تُهْوِلُ فيها الرِّيحُ إعْوَالَهَا
تَبِثُ فيها الليلةُ المضمجرة كَيْلِيلِهَا المُظْلِمِ أهْوَالَهَا

قلبي غدا كالجدول الناضب يدفنُ ذِكْرَهُ بحصْبَانِهِ
مَجْرَاهُ لَا يَبِثُ في الشاربِ ما كان يلقاه لدى مائه

تطوف أحلامي على خاطري كما يطوفُ الحظُّ بالشاعرِ
تَجِيْمُ لِي كالفان الساعرِ وتترك الحيرةَ في ناظري

كآبَى أفقدتني الأبتسامة لجانبَتْنِي حالياتُ الذِّكْرِ
لا أعرفُ البسمةَ إلا غمامة تُوجِي بها الرِّيحُ فلا تستقِرْ

كآبَى ماذا وراء الأفق قد أظلمَ الليلُ ولم اعرفِ
بأهيرةَ الجاهلِ بين النسي أُنَامُهُ في غارِهِ تحتني ؟

في الخريف

الشجرة العارية

أنا أنت ... لكن خبريني : أتري أعودُ الى ربيعي ؟
ترويك أمطارُ الشتاء ، إذا ارتويت من الدموع .

أنا أنت ... منتشرُ الفصولِ مددتُ ظِلِّي في الحياةِ
لكن أهواءَ الخريفِ كأنها حُكْمُ الطُّفَاةِ ،
عصفتُ بأوراقي فلا ظِلٌّ يُمدُّ علي هَوَاي
لكن يعود لك الربيع ، فهل يعود إذا ربيعي ؟

أنا أنت ... منفردٌ ، يحيط بي السكونُ ، بلا صهيل
لكن تحيط بك الطيورُ كهدهدِ الماضي الزهير
وتحيطُ فوقك تطلب الذكرى ، وتهجرني طيورِي
ولسوف يرتدُّ الربيعُ ... فخبّرني عن ربيعي !

أنا أنت ... لكن ... أنت أسعدتُ من حياتي في الخريفِ
فلتذكريني في الربيعِ عِرٌّ في رفقِ الطيُوفِ
ويعود موفورَ السرورِ كهودةِ الصبِّ اللهيْفِ

ويعود ماضيك الجليل . . . ولا أعود الى ربيعي ا
فلأرو من فيض الدموع ، لعل تنفسي دموعي ا



عقب السجارة

في الأرض مُلقاةً مُذهبةً هذي البقية من سجارتها
منبوذة كانت مقرّبة من نحرها تنفي إسلوتها



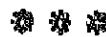
كانت تؤانسها فتخلق من موج الدخان عوالمًا شتّى
كانت تؤانسها فتبعث من قبر الحياة حوادثًا مَوْتِي



كانت تشارك قلبها الوجعًا وتظلّ نكتم شعجوها عنها
أنفاسها معدودةً عددًا وحياتها مسلوقةً منها



وتطيل في الأنفاس ما شاءت فتظلّ صابرةً على البلوى
حتى تذوب كأنما كانت حُلماً ولم يخلف سوى الذكرى



فرمت بها . . . يا سوء ما يلقي من عزٍّ يوماً في هوى الغيد ا
يُنفي الفؤاد هوى ، وما أشقى قلباً يضحي فوق جلود ا



كالمسابد البؤذي إذ ضحكى بأعزّ قربانٍ علي هيكلي
الصوت في أرجائه لمحا والجهل بين مقوفه يغزل

أبقىة السيجار قد ألفت بك في ممالي هذه الروضة
ولرب أقدام إذا مرّت أحنى عليك من اليد البضة

إني لآلم للألي بعدى يلتقون ما لاقاه من قبلي
حتى يحول اللون في الوردي ويحفّ لا يوحى ولا يُملي !



حياة الفنان

صَحِبْنَا ظِلَامَ اللَّيْلِ لَا هُوَ كَارِهِ
وَمَنْ يَفْقَدِ الْأَمَالَ يَلْقَ عِزَاءَهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا فِتْنَةٌ لَيْلَةُ الشَّرَى
وَتَسْكُمُ فِي الْقَلْبِ الْأُمَى، وَعَذَابُهَا
حَدِيثًا لَنَا، أَوْ نَحْنُ نَنْتَظِرُ الْفَجْرَ
لَدَى اللَّيْلِ إِنْ يُظْلَمَ، وَإِنْ يَفْقَدِ الْبَدْرَ
تَسَبَّ لَنَا خَيْرًا وَقَدْ شَرِبْتُ مُرًّا
يُمَيِّنُ كَخَافِ الْحَبِّ لَا يَعْرِفُ الْأَمْرَ

كَأَنَّ النُّجُومَ السَّاهِرَاتِ حَيَاتُهَا
فَلَا هِيَ فِي النُّوَامِ، أَوْ هِيَ مِنْهَا
فَأَخْفَتْ مَنَاهَا بَيْنَ أَسْتَارِ قُبَّةٍ
نَحْنُ إِلَى نَوْمٍ، وَقَدْ فَقَدْتُ صَبْرًا
وَلَكِنَّا كَالْطِفْلِ قَدْ مَلَأَتْ دُغْرًا
تَسْتَرُّ فِيهَا مَا جَهِلْنَا لَهُ يَمْرًا

وَمَا نَحْنُ إِلَّا كَاللَّيَالِي لِقَوْمِنَا
فَغَنٌّ بِشَمَرِي لِلْخَلِيِّينَ جُودَةً
وَمَا رَنَّةُ الْأُوتَارِ إِلَّا حَدِيثُهَا
نَسَاقِيهِمْ خَيْرًا، وَلِحَتَمَلِ الْمُرَا
وَحَلَّ دَمُوعِي تَسْتَدِيرُ لَكَ الشُّعْرَا
وَقَلْبِكَ، لَوْ يَدْرِي الَّذِي جَهِلَ الْأَمْرَا



تحت ضوء القمر

(١)

ما ألدَّ الله كريات لو تكونين معي

أيها البدر وقد أشرقت من هواء بنورك
سكر الناس على ضوءك من خم مرورك
وتباروا بالأناشيد على شطئي جبورك
وأنا ، بين حنيني لغرامي الراحل
وافترقادي ضوء حبي وشبابي الآفل ،
شارد اللب كآني لا أعي

ما يناغي مسمي

ما ألدَّ الله كريات لو تكونين معي

كنت بالأمس كثير الجولات في رحابك
كنت بالأمس كثير الرحلات في ركابك
مصرحاً كالطير ، بساماً كليلك مستظليين على صفوك بظلك
وصلنا الهادي معقود بوصلك

أيها البدر — وكم شاهدتنا — ما أهلك —
 أنا أحكيك — صفاء ووفاء — جملك —
 وهي تمحيك جلالاً ونقاء — كمك —
 كم صرخنا بين أمواج — شعاعك —
 وسفين الحب — نجم — ري — بشرائك —
 في صفاء — ودعة — وأمان — لامعة —

أنتَ قد أذكرتني الآن وهيبت حنيني
 أين من ترفأ دمي ؟ أين من تطوى أنيني ؟
 أين من كانت لي الأم — وكانت لي خديني ؟
 أين من كانت لي النور إذا أمست شجوني ؟
 أين من كانت لي الشك ، وكانت لي يقيني ؟
 وأغاني ، وأشعاري ، وأزهار سنيني ؟
 وأمانني ، وأحلامي ، وإيماني ، وديني ؟
 هي كانت في نواحي الفكر في شتى شؤني
 أين يا بدر وقد جئتُك وحدي ؟
 أين هذا العهد من سالف عهدي ؟

أسمع الآن أناشيد — وألحني —
 زودت الخائبا وقفاً لحون الضحكات

أيها البدرُ تُرى هم غفلوا عما خفي
خلف ثمر الهazy البسام حتى يشـتـفي
فيربهم ما أراني . . . أم تُرى هم يهزأون

بالحياء ومداها

والشفاء وكمـاها

والخمود وجناها

والنهود وجمـاها

يشربون الخمر من ريق الفواني

دون ما يبنون من هذى الأمانى ؟

يففل المسرور عن آلام من ضل السرور

وسرور الناس في الدنيا غرور في غرور

كم ضحكنا وكهونا وعدونا صرحين !

كم شربنا وخلونا وسكرنا فرحين !

فإذا اللهو رجلا خادع !

وإذا السكر مراب لا مع !

وإذا الكل لدينا ذكريات

تترامى كطيور حائمات

في هي مستنقع !

ما ألبت الذكريات لو نكونين معي !



أيها البدرُ ، وكم علَّمتَ أبناءَ الحياةِ
 كيف يسعى المرءُ في الدنيا ولا يطوى مُدَّاهُ !
 تتلصَّك سحاباتٌ فتطويها وتبدو
 ثم يخفيك محاقٌ فتُلافيه وتخبو
 أترى يا دائمَ الآمالِ أنَّا لا نعيشُ
 دون أن نحشد في الدنيا جيوشاً في جيوشٍ
 من أمانينا إلى أقصى مدى !
 وترى هل عائدٌ لي ماضى ؟ !



(٢)

جديرٌ بأسمى النجيلاتِ مَنْ ينجيكَ يا بدرُ نجومى ملاكُ
 فأنت مشيرُ الشعور الجميل ، وباعثُ روحى بأعلى السَّكَّ
 وأنت صهيرُ الوحيدِ الحزين ، وأنت نديمُ الحبِّ الهنىءِ
 وضوءُك حلْمُ الطفولةِ أو حديثُ الغرامِ السعيدِ البريءِ
 ومنذ صوَّرَ الهائمونَ الجمالَ ظهرتَ أيا بدرُ في رسمهم
 ومنذ مهَّكَ العاشقونَ الأمانى بدَّوتَ أيا بدرُ في حلْمهم
 وكنتَ لهم وَخَّيتهم في الجمالِ ، وعزَّفتهم مرَّةً هذا الجمالُ
 وما أدركوا للمباداةِ معنى سوى حينَ لُحِثَ بهذا الجلالُ

وقفت على السكون تطوى الظلام بكلّ المار وكلّ القفار
وتعكس نور ذكّاء بلطفٍ إذا غُيِّبَتْ بانقضاء النهار
فلا انقحة تحرق السارين ، ولا لهبٌ فيه نارٌ ونارٌ
يعجّدك الهائثون استقرّوا ، ويهدك الجاثبون السّراد

وراح الجميعُ اذا ما أرادوا تشابهةً حُسنٍ رأوها مثالك
فكم شاعرٍ في الوجود استمدَّ الى نفسه في سكونٍ جمالك
وكلُّ الوري شعرا اذا ما تحدّثت عن ذاته كلُّ قلبٍ
رأوك جمالا : وأيّ جمالٍ : وما فيك لا قول نقصٌ وعيبٌ
ولو حقّ العلمُ في فوزه طِلاب الجميع بأن يبلغوك
اضقت بمن يهجرون جميع السكاك يا بدر كي يسكنوك

أتيتُ الى عالمٍ لا يُحدُّ من الضوء تبسطُهُ في سخاءٍ
وليس مميّ من عهدت هنا ومن أخذت عنك هذا الصفاء
أتيتك وحدى أبدد يأمر ، وفي النفس من ذكرياتي الكثير
غنىٌ بها في ظلال الخيال ، وعند الحقيقة خسلو فقير
أرى في جمالك بعض التأسّي فهل فيك يا بدر ألقى العزاء ؟
سألتك بالأمس حين جلست على ضفة النهر أرجو الصفاء
أجدُرُ بالمرء أن يستطيل مُناه ويبسطها في البعيد ؟
فأما تقادم منها الضعيفُ تسيطر منها القوى الجديد ؟



أيها البدرُ ، وكم علَّمتُ أبناءَ الحياةِ
 كيف يسمي المرة في الدنيا ولا يطوي مُناه
 تتلقَّاك - سحاباتٌ فتطويها وتبدو
 ثم يخفيك محاقٌ فتُلافيه وتُحبو
 أترى يا دائم الآمال أنَّا لا نعيش
 دون أن نخشع في الدنيا جيوشاً في جيوش
 من أمانينا إلى أقصى مدى
 وتُرى هل عائدٌ لي ماضى ؟



(٢)

جديرٌ بأنكى التجلياتِ ممن يناجبك يا بدرُ نجومى ملاك
 فأنت مُشير المهور الجميل ، وباعث روحى بأعلى السَّماك
 وأنت صهير الوحيد الحزين ، وأنت نديم الحبِّ الهنىء
 وضوءك حلُمُ الطفولة أو حديث الغرام السعيد البريء
 ومنذ صور الهائمون الجمالَ ظهرت أيا بدرُ فى رسمهم
 ومنذ مهتة العاشقون الأمانى بدَّوت أيا بدرُ فى حلُمهم
 وكنت لهم وختيمهم فى الجمال ، وعرقهم مرَّ هذا الجمال
 وما أدركوا للعبادة معنى سوى حين أُنحت بهذا الجلال

هدأت ليلي هدأت

هدأت ليلي ، هدأت

فلا أنين

لكن أراي رجعت

إلى الحنين

فأبعث بعيد الفاكه من عالم النسيان
وانشُر قديم العشور أنيس بها الوجدان

ولو كطرفه عين

يا ليل عند المواقف نحن للبدر شوقا
كذلك بعد الفراق أود لو عدت ألقى

منهاى طرفه عين

القلب بعد الجراح يعافى صراي الدماء
والعين بعد الشواخ يخاف في كره البكاء

فألهذا الحنين ١٢

خبّرني يا ليل خبّرني فانت بالسر أذكرى

أعيد إلى وكرز ما قد مضى واستقر
بين طوايا السنين

وابت بعيد الله كبر من عالم التسيان
والشر قديم المشور أنعيش بها الوجدان
ولو كطرفه عين

هدأت ليلى ، هدأت
فلا أنين
لكن أداني رجعت
إلى الحنين



وحي الشعر (*)

أنتَ مَنْ يا عازفاً فوق قلبي أغنياتٍ تفيض من وجداني ؟
 أنتَ مَنْ يا ساكباً فوق رُوحِي ضوئاً حُبِّ يسيل كالطوفانِ ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ يُسِرُّ إلى النَفْسِ من بنجوى الأرواح من رضوانِ ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ يَفْكُ قيودَ الـ... لفظ حتى تَمَّ جناحُ المعاني ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ تَلْفَلِفُ في النَفْسِ من فأبدي المستور من أشجاني ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ يُرِينِي رسماً لجنانٍ في نجوى عن زماني ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ يَنْقُلُ رُوحِي في جمال الأشكال والألوانِ ؟
 أنتَ مَنْ يا مَنْ يَمُرُّ بنفسِي كحافظٍ في مفرّض من حسانِ ؟

أيها الجاذبي من الهدير الدَّاءِ وى إلى عرش ربِّي الألمانِ
 ومُحِبِّتي بكلِّ ما يملأ النَفْسَ من ضياء ، وناشراً إيماني
 أنتَ وَحْيُ الشَّعْرِ المُرْفَافَةِ عني في حياقٍ أجتازها كالأغاني
 مثلما تحمل النَسائمُ شَدَواً شرّدتُهُ ترونيمة في حنانِ
 يَحْمِلُ اليومُ تابِعاً سابقيه من حياني خيطاً من الألفانِ
 أنا أشدُّ والجوُّ يبلع شدوي وأغني . . . لكن إلى ذوبانِ
 وكذلك القلبُ الذي لك فيه أيها الوحي نعمة ومناي
 يتلاشى يوماً فيوماً ، فقل لي يومَ يَفْنَى وينتهي وجداني

(*) آخر الشاعر هذا الضرب من النظم لموسيقيته .

أُغْنِنِي يَا وَحْيُ فَوْقَ فُؤَادِ كَانَ يَسْبُو لِهَيْئَتِهِ الْمُتَغَانِي ؟
كَانَ يُبَاقِي فِي صَحْبِهِ فَوْقَ نَفْسِي أَغْنِيَاتٍ كَانَتْ غِذَاءً بِيَانِي

أَيُّهَا الْوَحْيُ ! مَنْ هَبَطَ عَلَيْهِ
عَرِيبًا كَانَ الْفَقَى أَمْ غَرِيبًا ؟
وَتَعْجِيبًا أَنْتَاهُ تَتَوَالِي ؟
وَمَمْلُوكًا مِنْ عَيْشِهِ أَمْ رَضِيًّا ؟
أَيُّ دَائٍ قَضَى عَلَيْهِ ؟ وَهَلْ مَا
بِاسْمٍ تَسْتَرِ ابْتِسَامَتُهُ الْحَزْ
قَبْلَ خَلْقِي ، وَقَبْلَ حُلِّ لِسَانِي ؟
وَشَقِيًّا أَمْ كَانَ خِلًّا أَمَانِي ؟
أَمْ طَرُوبًا خَلُوكَ مِنَ الْأَحْزَانِ ؟
وَوَدِيعًا أَمْ كَانَ كَالْبِرْكَانِ ؟
تَ صَبُورًا وَكَأَمَّا مَا يَعَانِي
نَ ، وَتَخْفِي جُرْحًا سَلَسَتُهُ الْأَمَانِي ؟

أَيُّهَا الْوَحْيُ ! هَالِكِ أَوْتَارَ قَلْبِي
غَيْرَ هَذَا الَّذِي يَرْنُ صِدَاقُهُ
فَاعْزِفْ الْآنَ فَوْقَهُ مَا يَعْزِي
غَنِّ يَا وَحْيُ مَا يَسَامِرُ رُوحِي
قَطَعَتْهَا أَنْامِلُ الْأَشْجَانِ
خَافَتِ الْجُرْسُ ، ذَائِبَ التَّعْنَانِ
وَيَهْزُ الْأَعْصَابَ مِنَ الْخَانِ
رَبَّمَا عُدَّتْ فَاغْتَقَدَتْ كِيَانِي



وحي المصباح

« الى روح توماس أديمن »

(١)

لـ وَرُوحَ الْجَبَّارِ فِي الْإِنْسَانِ	أَيْهَذَا الْمَصْبَاحُ يَا أَثَرَ الْعَقْدِ
فِيكَ صَفْوَةُ الْقُلُوبِ بِالْإِيمَانِ	جُمِّعَ النُّورُ صَافِيًا وَتَقِيًّا
ظُلُمَاتٌ طَلَّتْ عَلَى الْأَزْمَانِ	ثُمَّ فَاضَتْ أَنْوَارُهُ فَتَسَوَّارَتْ
مِنْ بَدِيعِ الْجَمَالِ فِي الْأَكْوَانِ	مِثْلَ مَا جُمِّعَ الْإِلَاحُ شَتِيًّا
ذِكْرِيَّاتِ الْآلَامِ وَالْأَشْجَانِ	فِي فَتَاةٍ تَنْفَسِي الْقُلُوبُ لَدَيْهَا
وَمَقْصِدُ اللَّهِ فِي حَبِي الْإِنْسَانِ	أَيْهَذَا الْمَصْبَاحُ مَا أَنْتَ إِلَّا

(٢)

بِلِسَانِهِ مِنْ الضِّيَاءِ الْمَامِي	أَيْهَذَا الْمَصْبَاحُ قُصٌّ عَلَيْنَا
وَجَلَاءِ نَحْشَةٍ بِالْحَوَاسِ	كَيْفَ يَا أَبِي الْخَيَالِ الْأَظْهَرَا
وَشَمَاعاً فِي مَوْجَةِ الْأَقْوَاسِ (١)	كَنْتَ قَوْلًا وَفِكْرَةً وَظَنُونَا
عَبْقَرِيَّ التَّفْسِيرِ صُلْبَ الْمَرَامِ	فَأَنَاهَتْ لَكَ الطَّبِيعَةُ عَقْلًا
رُضِيَاءَ يَشْعُ عَنْ (توماسـ)	فَإِذَا أَنْتَ آيَةُ الْعَصْرِ ، وَالْعَهْدِ

(١) الاقواس الكهربائية : هي الاستنباط الذي سبق المصباح الكهربائي

(٣)

أظلم الليلُ فاعتليتُ عروشاً وسما النورُ فانتظمتُ جلالاً
ومضى الناسُ في رحابك والآم نٌ عليهم يمتدُّ منك ظلالاً
حقَّقَ العقلُ تحت ضوئك ما كا ن عَصِيّاً في بحره ومجالاً
جُبَّتْ في الأرض كالسلام نواحيها وجُزَّتْ البحارُ والأجبالاً
فاذا النورُ في الكهوف تداني وإذا النورُ في الجواه تَعَالَى
في مَهَبِّ الأنواء تنظر لاري ح كما تنظر الحسانُ دلالاً
أيُّ هذا المصباحُ هل أنت تدرى أيُّ نورٍ في الكونِ ذاب وزالاً؟

(٤)

أيُّ نورٍ ذاك الذي أطفأ المو تٌ وفكره ذاك الذي قد طواه
قد حواه المجهولُ في ظلماتٍ كلُّ بحثٍ فيها يضلُّ نُهاه
يظنُّ الموتُ مَنْ يجمّع في الكو ن ضياءً مسهزناً بسناه
ليت شمري أفي الأثير تلاشي ذلك الفكرُ واختفى في علاه
أم تقاني والجسم في كنف القبر — وغاب النبوغُ تحت ثراه؟

(٥)

فوق جسر الحياة مرَّتْ شموبيُّ هاتفتُ من بدء عهد الحياة
فبتناسم الزمانِ هوأنا وتلاشتُ آثارهم في الغداة

وقليلٌ منهم يُخلِّده الدهرُ رُ خلودَ الحياة طيَّ النواجرُ
بين عصرٍ وآخرٍ يُنبِتُ البذرُ رةً نباتاً يسبحو إلى الممجذاتِ
تلك روحٌ تلقى على الأرض نوراً وظلالاً من عالم الجناتِ
قد تقاضى تفكيرها فتدانت في رحاها غرائب الآياتِ
لم تعاون يوماً أبالة الشرِّ — وتبدع آلاتها للأذاتِ
كلُّ ما تبتغي خلاصاً وهدىً لبني الأرض من مدى الظلماتِ

(٦)

هي روحُ المفكر الذي انتصر الموحى ث عليه وكان بالأمس قوَّة
هو شيخٌ جاز الثمانين لكنَّ رغم هذا تفكيره في الفتوة
ماشٍ للعلم في الحياة يفضي بهدوه الأعصاب لا للثروة
هو في الناس مثلهم آدميٌّ ونبيٌّ في البحث سامي النبوة

(٧)

باعثُ النور^(١) لامعاً كالدراري حافظ الصوت^(٢) أن يضيع ويعضي
موقفُ الحلم والخيال من الوه مومفني مكي الكرى والغمض^(٣)
فوق شاش نرى الحياة فصولاً عرضتها الأفلام أبدع عرض
هل سيبقى الفكر الذي اخترق الغيبَ زماناً أم بعد ذلك يقضي؟ مجهول يقضي عنه بما ليس يقضي؟
هل سيبقى في الموت يكتشف الـ

(١) المناجاة لتوماس ادبسن (٢) إشارة إلى استنباطه الفونوغراف (٣) إشارة إلى استنباطه السينماتوغراف

البانسيه

زهرة الذكرى

زهرة « البانسيه » معشوقة الشعراء والمحبين أطلقت عليها مختلف الأسماء
الشعرية الساحرة واسمها هذا مشتق من Pensée بمعنى « فكر »
ولهذا أطلقت عليها اسم « زهرة الذكرى »

يا زهرة (البانسيه) كم تشبهين صورة قلبٍ مُستهامٍ حنونٍ
يضمُّ ألوانَ الهوى جوفهُ وأنتِ بالألوانِ كم تذهين
ياراحة القلبِ آمنحيه الهدى قلابي غدا في زمرّةِ المُتعبين
مُلقي على اليأسِ يسفُّ الأملِ وبسكتمُ الشكوى ومُرَّ الشجونِ

يا فتنة في الزهر لا تفتني تبعث في النفس جمالَ الحنين
ملت دلالاً ... يا لها فتنة كما يغيل الهدبُ فوق الجفون
فكنتِ كالحسناء خجلانة ... يا حُسنك الساهر إذ تلهجين ...
فيك معاني الوجدِ مخبوءة وفي معنى الوجدِ ضاحٍ مُبين
فيك دلالُ الغيد ... لا تشهري فوق المحبين سيوفَ الفتون
كوني دواءً للقلوب التي جرت عليها السقم مرضى العيون
فأنتِ مشوى العين في عشقها وأنتِ وحيُّ الحبِّ للعاشقين
كتمتِ في الحسنِ خفي الشذا كالسرِّ - بين العاشقين - المصون

إِنَّ أَفْضَلَ الْجَاهِلِ فِي جَهْلِهِ تَقْدِيرَ هَذَا الْحَسَنِ فَلَمَّا بَدُونَ
يُمَطِّوْنَهُ الْعُدَّةَ ... فَيَجْلُ الْوَدَى يَهُوَوْنَ شَمَّ الزَّهْرِ .. لَا يَنْظُرُونَ
كَمْ فِي نَوَاحِي السَّكُونِ مِنْ فِتْنَةٍ مَا نَالَتِ التَّقْدِيرَ مِنْ عَافِلِينَ
وَخَلْفَ تَيَّارِ الضَّجِيجِ الَّذِي يَجْتَاحُ مَا يَجْتَاحُ ، شَيْءٌ صَمِيمٌ
لَا يَنْفَعُ التَّهْلِيلُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ غَايَةِ الْقَلْبِ مِنَ الْمُغْرَمِينَ
حَقًّا ، كَنُورِ الشَّمْسِ لَا يَرْضَى أَنْ يَكْثَرَ الْقَوْلَ لَهُ الْمَادِحُونَ
يَا زَهْرَةَ الذِّكْرِ أَكْفَالِكَ الشَّدَا مِنْ عَابِدِيكَ الْغُرِّ ، أَهْلِ الْفَنُونِ

يَا زَهْرَةَ الْعِشَاقِ . . . كَمْ أَسْبَغُوا عَلَيْكَ فِي نَجْوَاهُمْ مَسَادِقِينَ
أَحْلَى الْأَسَامِي مِنْ لُغَاتِ الْهَوَى مَا يَنْشُرُ السَّحَرَةَ عَلَى السَّامِعِينَ
أَسْقِيكَ مَا أَسْقِيَتْهُ غَادَةً رَاحَتِ كَذِّكَرِي فِي سَجَلِ السِّنِينَ
رَاحَتِ مِنَ الْمَدْرِ إِلَى مُخْتَدَعٍ لَا يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِهِ أَوْ يَبِينُ
زَهَتْ كَمَا نَزَهْنَ ، ثُمَّ انْتَهَى بِهَا رُؤَاةَ الْحَسَنِ لِلْقَاطِعِينَ

أَسْقِيكَ تِلْكَ الْقُبُلَاتِ الَّتِي تَعْلُو مِنَ الْأَحْشَاءِ لَوْ تَعْلَمِينَ
يَا زَهْرَةَ الذِّكْرِ . . . وَفِيكَ اسْمُهَا مَا أَجْمَلَ الذِّكْرِي لَدَى مَنْ يَصُونُ



الخير والشر

أيها البائس ! لا تعجب فما في طريق الشر إلا النسيبات
وطريق الخير محل لا ترى فيه من زهر ولا فيه نبات
وطريق الشر سهل واضح وبات
بيد أن الشر لو نظرته ساحة مملوءة بالعثرات
غرك النور بهاتيك الصوى (١)



أيها الخير ! كم أتعبت من قاصد يلقي عظيم النكبات
مهتد السير بواديك فما أقصر العمر بهاتيك الحياة ؟



أيهما أصلح ؟

أترى يُصلح من عالمنا أن يبيد الشر منه ، أم يضر ؟
لا أرى إلا بقاء الشر كي يعرف العالم ما بعني به (خير)

(١) الصوى : علامات تكون في الطريق هدى ودليلا ، واحدها صوة.

موت البلب

ما أتمسَّ الفنُّ في حياةٍ | وأتمسَّ الفنُّ في عماتيةٍ |
 قد واثتْ الآسنَ الأمانى | والجارىءُ الماءَ لم نواتيةٍ |
 والخالى الذهنَ مُستريحٌ | فى الوكرِ، فى القصرِ، فى قتلاتيةٍ |
 والساهرُ الليلَ ، قد طواه | وشوَّةُ الموتِ ذكرىاتيةٍ |

فى هدأةِ الليلِ ، فى دُجَاهِ | فى معبدِ الكونِ ، فى صلاتيةٍ |
 يُحاصرُ الصائدُ المنايا | والحيُّ لاهٍ بِمُلهياتيةٍ |
 ونيَّةُ الشرِّ إنْ تراءتْ | هكَّتْ على الخيرِ أُمْنياتيةٍ |
 والبلبلُ الصادحُ المفتى | الساهرُ الليلَ فى شكاتيةٍ |
 حيرانُ ما يهتدى لِفُصْنِ | حتى يُصَبِّى الى لِداتيةٍ |
 قد نبَّهَ الليلَ من رؤاهُ | فراحَ يُصَفِّى لِمُطَرِّباتيةٍ |
 والنَّعْمَةُ العذبةُ استراحتْ | مأخوذةً مثلَ سامعاتيةٍ |
 يمرُّ بالروضِ ما يُفَتِّى | يهزُّ فى الروضِ مُورقاتيةٍ |
 ما أجهلَ الكونَ حينَ يُصَفِّى | لهاتفٍ صاغٍ مُبدعاتيةٍ |

وبينا البلبُ المفتى | بعيدُ لحنًا على هَوَاتيةٍ |
 دَوَى بِجوفِ الدُّجى دَوَى | فروَّعَ الكونُ فى صلاتيةٍ |

وهَلَّلَ الصَّائِدُ انْتِصَارًا وَرَدَّدَ اللَّيْلُ قَهْقَرَانِيَّةً
وضاعَ في الأفقِ كلُّ الحزنِ وليس يلوى على شَتَاتِيَّةٍ
وفي أزيزِ الرصاصِ يَنسَى مُسْتَمَلِحُ الصَّوْتِ أَغْنِيَانِيَّةً
وصَدَّعَ الفجرُ جانِبِيهِ وأيقظَ الشُّبَّحَ مِنْ سُبَاتِيَّةٍ
فهبَّ يَمْشِي على ضحَايا وراحَ يُصَفِّي لَهَاتِفَانِيَّةً
والببلُ الخافِتُ المُسَجِّى الزهرُ يَحْنُو على رُفَاتِيَّةٍ



الخيال

ويلومني بعضُ الرفاقِ وقد مَلَكْتَهُمْ مَادِيَّةُ العَيْشِ :
« ما تملكُ من الخيالِ وما فيه سوى الأحلامِ والطيشِ ؟ »
فاتركهُ لا تسبِّحُ على أملِ في بحرِ الهدأةِ بالفضِّ «
فأجبتُهم : « لولا الخيالُ على هذى الحياةُ كَفِضَتْ بِالْعَيْشِ -
كلُّهُ يَوْمٌ في الحياةِ ولو لا هذه الآمالُ لم يَمشِ -
لولا النقوشُ لما سَمَتْ حُورٌ وكذا الحياةُ تُعْزُّ بالنقشِ »



دموعى !

دموعى ... كنتِ آمالاً تمُدُّ القلبَ بالبشرِ
وكانتِ هذهِ الآما لُ كالأمواجِ فى البحرِ
مَرَّتْ فيها مباركةٌ سفينةُ أليبِ العُمُرِ
ولكنْ غَفَلْتُ عينا عِىَ عن عَيْنِ من الدهرِ
صَحَّتْ كالشمسِ مُلهِبةٌ فكانتِ دونَ ما أدرى
تُبَخَّرُ هذهِ الآما لَ حتى جَفَّتْ بحرى
دموعى ... أنتِ أمطارٌ مِنْ الأمالِ ، مِنْ همى

دموعى ... ! كنتِ آمالاً تمُدُّ القلبَ بالبشرِ
وكانتِ هذهِ الآما لُ مثلَ روائعِ الزهرِ
يفوحُ الشَّعْرُ للمشا قِ حُلُوءاً طيِّبَ المِطَرِ
إذا ما فُلَّتْ فيها فأينَ بواصمُ الشَّعْرِ ؟
لقد جَفَّتْ أزهيرى وفيها دَوْنُ العمرِ
دموعى ... أنتِ أندالُ فَرَوَى زهرةً غديرِ

دموعى ... ! كنتِ آمالاً تمُدُّ القلبَ بالبشرِ
وكانتِ هذهِ الآما لُ كالأنعامِ فى الفجرِ

تبددُ وحشة الداجي فيصنعو ساجعُ الطير
 يرددُ بعدها نغمًا كوخى العقل في الفكر
 ويصنعى الكون ، والأنا م في أرجائه نسرى
 ولكن خفت الصوت وولت هداة النجر
 وصم الكون عما فيه من ضاعة تجرى
 دموعى ... أنت أنعام تردد فى رحى الصفر
 فن يسمع الأنسا ت من ينصت من يدرى
 ومن يرنى لآلى ومن يبكى على قبرى ؟



المنديل

أيها المنديل : قد أدركت معنى فيك لم أدركه قبلاً
 أنت من إهدائها فى ساعة الحلم ، وساع الحلم جهل
 من أمانى نجت ... يا لها ولت من الدنيا ... فهل
 أنت تدرى مرّ إهدائك لى ؟



لم أكن أدري الذى تنويه ... هلاً كنت تدرى
 يوم أن لامست منها ثمرها ما كان يبرى
 بين أنفاس طوئها فيك تذكو مثل فكرى ؟
 أيها المنديل قل لى مرّ إهدائك لى !

ما الذى كانت تناجيك به وهى تحيطك ؟
قد أحطت الفجر منها مشاماً كانت تحوطك ؟
أيها المنديل قل لى : ما الذى تدوى خيوطك ؟
أنا أدري سرّ إهدائك لى !

أنت يا نسج الأمانى للدموع عند بؤسى
تستقى من أدمعى خيراً تروغ كل كأس
فأرتور ماشئت ، أو ماشئت الآلام دهر
فإذا جفت دموعى فابق للآلام ذكرى



يا ذابل الزهر !

يا ذابل الزهر، لو أُنْطِمِعُ - والسَّهْفُ -
ذبلت في بساتين الصبح فأنحدرت
ومالَ عنك النسيمُ الحى لا صلاتاً
تهدأت ورقاتُ الفصنُ واحترفت
وحالَ لو نذك... أين الحسنُ هل ذهبت
أم يسبح الحسن كالأرواح في فلكٍ
أحبيك بالدم منى كنتُ أحييكا
مدامعُ الطلِّ حرى وهى تبكيكا
وانما هو يخشى أن يلاشيكا
وجففت الموتُ أرواحَ الشذى فيكا
آثاره في الثرى أم في عوافيكا ؟
حتى يحمل بأزهاره دواليكا ؟

يا ذابل الزهر ، أى الأمنيات مضت
كم من أمانٍ توارت في بداياتها
في الشرب حين أتاك الحين طاو يكا
كما توارى جنينٌ من أمانيكاً

يا ذابل الزهر عطرٌ في الثرى جدتى
ففى غدير أنا ذاوٍ فى نواحيكا



الربيع الباهت

دارت فصولُ العامِ لكنَّ الأسي
فأتى ربيعٌ كالمرضِ مَظْمُومٍ
وزهوره ، ليست زهوراً ، إنما
مَكَبَ الأسي ماءً على ألوانها
لا تستثيرُ العينَ في نظراتها
حتى النفسُ يميل عن أغصانها
عكفت على يأسٍ كغانيةٍ مضت
قد عكزَ الصَّافي ، وصَوَّهَ دَوْرَتَهُ
أطيَّارُهُ في مُنتداهِها ساكنة
هي من ترى الأرماس كانت ثابتة
فجعا طلاوتها فباتت باهتة
فكأنها جسدُ البقيَّةِ المائتة
عَفَا ، فألحَّها دوماً ثابتة
في الدَّيْرِ ما كفةً هنالك قانتة !

إيه ربيع الصَّمتِ ! إني مُنْشِدٌ
فإذا تجاوبَ في نواحيك الصَّدى
واغسلْ بأدمعِك البواقى جُنَّتِي
كانت مجاهد في الحياة لترتوى
فتنقلَ الداء الخبيثُ ، وغالها
أغنية القلب الجريح الخافقة
فاعلم بأنَّ الليلَ يرثي ميته
وانشُرْ على وجهي الزهورَ الباهتة
من حُسْنِها تلك النفوسُ الميَّتة
فاستسامت ، وتجرَّعتُه صامتة !



ربيع كالخريف

هو الربيعُ . . . ولكن أين بهجته ؟
هو الربيعُ . . . ولكن لا أحسُّ به
هو الربيعُ ، نعم . . . في عُرف دائرة
لكنه في اعتقادي صورةٌ وُضعتُ
ما كلُّ فصلٍ تبدلَ زهرُهُ ألَقَا
أو كلُّ فصلٍ تمرَّ فيهِ أخضرُهُ
فريماً وَجَدَتْ نَفْساً مِنْعَمَةً
وليس تشعرُ نفسٌ حُسنَ مَطْمَحِهَا

وَأينَ ما كُنْتُ أَلْقَى في معانيهِ ؟
ولست أشعرُ شيئاً مِنْ معانيهِ !
مِنَ الزمانِ ، ستمضي بَعْدُ تطويهِ
عن الخريفِ بتزويقٍ وغمويه
هو الربيعُ أميرُ الزَّهْرِ والتَّيِّبِ
هو الخريفُ كما نمضي نُسَمِّيهِ
ربيعاً في خريفِ الناسِ يُخَفِّيه
إلا إذا اندمجتْ أحلامُها فيهِ

هو الربيعُ . . . ولكن عند مبتدئهِ
لكنني في خريفٍ بئُ منتظراً
هو الربيعُ . . . ولكن عند أهليهِ
سقوطَ أوراقِ عمري في تلاشيهِ !



الرجبات المقيدة

لو كنتُ نسمةً فجر في الربيع كما
أو كنتُ أوتارَ عودٍ بات يعزفني
كما بهمتُ بأنفاسي إلى أذنٍ
أو كنتُ زورقَ نهرٍ ما خطرْتُ على
أمرٌ من فوقها كالحُلُمِ مخترقاً
أو كنتُ نجمةً ليلٍ ما طلعتُ على
أو كنتُ أثمارَ رَوْضٍ ما دنوتُ إلى
أو كنتُ ... أو كنتُ ممّا كلُّهُ متّسعٌ
لكنتني أنا مخلوقٌ يسيرُني
لو ضُعتُ أفليت من قبدي كما اقتنعتُ

صرتُ بالروضِ إلا وهو يدعوني
في هدأة الليل فنّانٌ يناغيني
الآن إذا شُبِّبتُ في مكحٍ تلحيني
صحائف اليمِّ إلا وهي تحميني
أجفانَ عاشقةٍ في حِضْنٍ مفتونٍ
غفلانٍ ، لكنّ على صَبٍّ يراعيني
أَكُفٌّ مَنْ ليس يهواني ويرجوني
ما كنتُ أسدً إلا مَنْ يناجيني
دهري ، ودهري في الأغلالِ يغويني
نفسى باتي إلا يجدّ مجنونٍ



الشاعر والزمان

يعانقُ القيثارة في حجرة
يسامُ الدهرُ بالحنانِ
يودُّ لو يُعنى الزمانُ الذي
تقوده من منسجج واضح
قد عرَّبت الدهرُ فلم يستمع
وقام في ثورة أحلامه
وأنث المطعون في قلبه
ما الشاعرُ المستوَّهوبُ إلا دمٌ
قد أمَّست أوتارها العاصية
وخرو ، والدهرُ في ناحية
تهدُّه أغراضُ العاتية
على رنين المالِ للهاوية
للعازفِ اللحن ولا الشادية (١)
يطعن في طغيانه ساقية
مطموسة في الصرخة الدَّاوية
على نهالِ القوَّة الطاغية



(١) الشادية : هي القيثارة .

الشاطئان

تعالى في رحى الفجر - نجمل بين الأواهير -
فهذا ملك الشمر - يناجي ربة الثور -

تعالى نحن في الدنيا - كروح الله في الزهر -
ونحن الطيف في الرؤيا - وشططا ذلك النهر -

تحيينا مويجائه وتلثمنا - بشحنان -
وتحيينا نسيماؤه بنقديس - وإيمان -

الحياة

تعالى نسكب الدنيا ضياء فوق سمحانا -
فدوى ترربة ريتا ينمى زهرة الآنا -

تعالى ! ليس يدرينا اذا ما جفت الكاس -
أنلنى من يعاقينا ؟ تعالى اكلهم ناس ... !

فطنت لبعض ما أعنى فهل أحسست آلامى ؟
أعيش الآن فى ذهنى وذهنى فوق أيتامى

الحب والنفوس

أرى قطر الندى يرمى من الأزهار كالدمع
كذلك الروح فى الجسم ضحية خسة الطبع

فإذا كان يعروها إذا ما ظلت القطرة
على الزهرة تجلوها ولكن عافت^(١) الزهرة

الغائب

نذل النفس وغبثها وترفها إذا شئت
وتحميها مودتها وتهميها إذا ساءت

كذلك الحب إن زلت به أقدامه يوما
إلى نفس قد انحطت سيصبح عندها وها

ولن يفتق الزرع إذا لم تشاء الأرض
فلا ينفعه تبع ولا ينفعه فيض

(١) أي القطرة

الحب الشامل

مُحاولٌ مَوْجَةٌ النهر تنأجى ذلك الزُّورَقُ
فهل فى الناس من يدرى بصرِّ الموج أو ينطق ؟

نعم ! فالحبُّ لا لغة له ، أو مذهبٌ دينى
ولا حدُّه منطقة ولم يُضبطْ بتعيين

فهذى زهرةٌ اترنو اليك بنظرة العاشق
وفى محبةٌ تحنو على ذا البلبل الخافق

الروح والجسد

تعالى ليس يعجبُنى من الصُّوفى صرَّاهُ
فمُحْضَنُ الخمر لا يفنى اذا ما ساءَ مَنَواهُ

وهل ترتفعُ الرُّوحُ اذا ما حُفِرَ الجسمُ
وليستْ تحسُنُ الرِّيحُ اذا ماضمَّها الزُّهْمُ^(١) ؟

صفاءُ الرُّوحِ فى الجسمِ وهذا الجسمُ من آتِه

(١) الزهم : الريح المستة

فما معنى هوى القوم. بأن تنحط كاسائه ١٢

وجداني

أرقتُ في الأمي لحي فلا يسميني جاري
ويُنفذي صاحبي عني ولا يعلم أخباري

أشارك كل حيراني مباحجتهم وبأوامهم
أمرهم لهم بوجداني وأشكو عند شكواهم

شقاء الناس يؤلمني فأبعدهم بأشعاري
ونارُ الناس تُحرقني ولا تحرقهم ناري

هيكَل الحب

هنا في معبدٍ سامٍ عليه يجلدُ الفنُ
مشيتُ أمدُّ أقدامي ومن هيكَله أدنو

رأيتُ وراثة جُدرانِيه تماثيلاً من الصمتِ
تعيش بنفْسِ قُرْبانيه وتلا راحة الموتِ

سألتُ الكاهنَ الحانيَ أمامَ المعبودِ المشرقِ
بما خالَجَ وجداني فأوماً دونَ أني ينطقُ !

أشار . . . فلم أجِدْ شيئاً وطادَ يتمُّ ترتيله . . .
لمنْ نحملُ ذا العبءِ ؟ ألا نكشفُ مجهولة ؟ !

فقال الكاهنُ الحاني : تقدّمْ وأحرقِ القلبِ
وأنشدْ بعضَ الحاني لتلقَى همُّنا الرُّبَا

ولا تحفيلْ بتمثالِ هُنا ، أو زُخرفِ قاتنِ
فهذا حبلٌ محتالِ وهذي خدعةُ الخائنِ

ضميرُك أنتَ مُرضيه بما أخلصتَ منْ حُبِّ
وقلبُك أنتَ مُخبيهِ إذا ما عشتَ للقلبِ

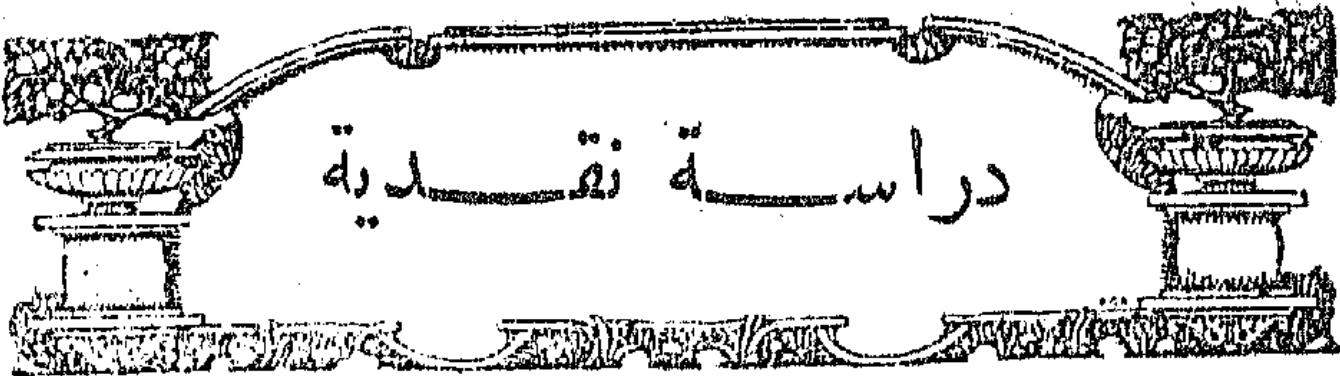
التضحية

هنا في هيكلِ الحبِّ أحترقُ مبدأَ الفردِ
وأحرقُ عنده قلبي بخوراً طيبَ النَّدِ

❦ ❦ ❦

ولستُ بنادم يومَ ما على قُرْباني الضائع
أَجَلُ الناسِ مَنْ يَظْمَأُ لِيَرْضَى الظامىءَ الجائعُ





دراسة نقدية

شاعرية الصيرفي

في الألمان الضائعة

حديثي في هذا البحث النقدي عن شاب شاعر ، ولكنه من طراز جديد ، فهو إذا التقى مع الشباب في ناحية ، فانه يفترق عنهم في عدة نواح : حديثي اليوم عن أحد الشعراء الرمزيين ، وحاملي علم هذا اللون من الشعر الى الجيل الحاضر ، وما أحسب المستقبل سيكون إلا لهذا الشعر الرمزي ، وكأن ما في مواجهة الحقائق من مرارة وثقل ، وكأن ما في ترقى الذوق الانساني العام ، أجل كأن ما في هذا أو ذاك ، أو كأن ما فيها معاً ، هو ما حجب الى شعراء اليوم الالتفات الى الشعر الرمزي ، لأنهم يلفسون الحقائق بثوب رمزي يخفف من حدة الحقائق ويحملها ، فلا يحرم الشاعر التعبير عن كل ما يشعر به في حرية وطلاقة ووضوح .

وإن صلتى الشخصية بهذا الشاعر لا تكاد تزيد عن شهر ، أما صلتى بشعره أو ألمان الضائعة فقديمة ترجع إلى أيام كان يوالى النشر في مجلتي العصور والمقتطف ، فلقد كنت أقرأ أشعاره في هذه الأيام ، وأشعر أثناء قراءتها بجملة روحية ، وألمس فيها جوانب لامعة مشرقة ، تبشر بما سيكون له في عالم الشعر .

وإذا كنت قد علمت أن صاحب « الألمان الضائعة » شاعر من طراز خاص فاعلم كذلك أنه يتطلب قارئاً من طراز أخص ، أجل يتطلب قارئاً له قدرة على التسامى والطيران ، فيستطيع أن ينطلق معه في عوالمه ، ويخلق وياه في سمواته ، حتى يقف على أسرار هذه العوالم وعجائبها ، أما القارئ العادي ، فهيئات أن يدرك شيئاً ، بل أنه ليدخل في الديوان ويخرج منه دون أن يظفر بطائر !

ذلك لأن الشاعر يخاطب الجمهور الواعي التأمل ، ويجب أن أسجل هنا ، أنني قد لقيت أثناء دراسة هذا الديوان من الغذاء الروحي بقدر ما لقيت من الجهد والمشقة ، وما أشبهني في ذلك بمن ينقب عن الماس !

وإذا كان قد تبين لك أن « الألبان الضائعة » لا يمكن أن تجود على قارئها بشيء ما إذا تناولها على سبيل التسلية وتزجية الفراغ ، وإذا كنت قد عرفت أنها تجود على من يحفل بها في صعوبة ، فاعرف أيضاً أن الكتابة عنها أصعب ، لأن الشاعر لا يجرى على مألوف الشعراء وما تواضعوا عليه من النظم في شتى الأغراض المألوفة : كالغزل والثناء والوطنية والوصف وما شابه ذلك . كلاً فأنت لا تسعد في ديوانه بهذا التقسيم التقليدي ، ولكنه يتنقل بك في دنياه الخاصة ، فإذا بك ترى دنيا جديدة ، لها خواصها ومميزاتها : فأنت تتسمع هتافات الأطياف في الأصائل والأسحار ، وأنت ترى الجداول والأنهار تتدفق في دعة واطمئنان ، وأنت ترى الصخور المنعطفات على الشواطئ ، وأنت تبصر الحدائق والرياح ، والصحاري والقفار ، والجبال والتلال ، ولكنها لا تلتقي مع مثيلاتها في دنيا الناس إلا في الاسم فقط ، ثم تنفرد هي عنده بعد ذلك ، بالحياة والنبض ، والروعة والسحر ، والجمال والجلال !



ولست أدري لماذا أنا كـ"ف" بأن أرسـم صورة للشاعر "الصيرفي" اكتملت أجزاءها بعد قراءة "ألبانه الضائعة" فما أشبهه بموسيقى "اصطحب قيثارته وجلس في ظل شجرة غيدانة ، على شاطئ جدول متدفق ، ينشد الوحدة والتأمل ، والناس من حوله يضجون ويصخبون ، وكلما اشتد ضجيجهم أمسك بقيثارته وراح يرسلها أنعاماً قدسية ، تلين من قساوة القلوب القاسية ، وتمحو بسحرها ماران على النفوس ، كما تبعث فيها روح السلام ، وتشع عليها نور الابتسام . ولقد تراه

— في بعض الأحيان — رغم هدوئه وانزوائه ، ساخطاً برماً ، ولقد يبلغ به
اليأس مبلغه ، فيروح يجأر بالشكوى ، ويصرخ بالألم ، وما لنفسه يفعل ذلك ،
ولكنه يفعله من أجل الناس ، ومن أجل الحانة التي تلاشت بينهم كما يتلاشى
النسيم العطري في مهب الرياح ! فهو إذا سخط أو تبرّم ، فلما أصاب الناس من
البلادة والجحود ، وهو إذا شكى أو تألم ، فلما يشيع فيهم من الفساد والكنود ،
ومن العزوف عما يخلقه لهم من الجنان والفراديس ... وليتهم يقفون عند هذا ،
فلا يهزءون بهاتيك الجنان ، أو يميلون على أسوارها هادمين مقوّضين !

بنيتُ لهم من جنان الخيال -	فراديس ترقص فيها الفنون
فراحوا بمجنّتهم يهزءون	ومالوا على سورها يهدمون !
وأنشدتهم من أغاني السماء	أناشيد تعزف للخالدين
فضاع الصدى في فضاء الحياة	وذاب النشيد وهم يصخبون
وحدثتهم عن جنان الخلود	فكانوا بقصتها ساخرين
وقد عفت من أجلهم جنتي	وضحيت من أجلهم بالثمين
أعيش أشاطرهم يؤسهم	واملاً كأسى عصير الشجون !



والآن وقد رسمنا لك صورة الشاعر كما بدت لنا من ظلال أشعاره ، فأننا
نريد أن نعرفك بشعره ، وشعره كما ذكرت آنفاً لا يجري على ما تواضع عليه
الشعراء ، وإنما هو شعر الفكرة والتأمل ، تنبثق في خاطره انبثاق الشعاع
ولا تزال في وضوح ونمو حتى تكمل ، وإذ ذاك تساوره وتلجئه على التعبير
عنها والخروج الى الحياة ، كما يفعل الجنين بلغ تمام نموه . ومن أحسن فكره
الشعرية في هذا الديوان فكرة قصيدة « الشاعر » ففيها يمثل لنا خلق الشاعر

وكيفية هبوطه الى الأرض ، وأسباب ذلك في عرض شعري جذاب ، فيرى أنه في فجر الحياة الأول رنّ في أنحاء الوجود صوت كأنه الحلم الجميل المحبوب يطوف بالجفن ، أو كأنه المعنى السامى يمرّ بالذهن ، وإذا هذا الصوت يتجلى غناء للسامعين ، ويتمشى رجاء للنائمين ، وإذا السامع والنائم كلاهما يهفو الى هذا الصوت في لهف وظلّ ، ثم إذا هذا الصوت ، صوت الشاعر يرجّع على قيثارته :

أنا طيفٌ آتٍ من الفردوس أنا همسٌ يسمو على كل همس

أنا حلمٌ يجول في كل نفس

أنا نورٌ جهلتموه زماناً أنا روضٌ جهلتموه مكاناً

أنا وحيٌ لم تدركوه عياناً

ويتدرج في فكرته الى كيفية خلق الشاعر ، فيرى أنه خلق من النظرة الأولى بين آدم وحواء ، وأن آدم لما بصر بحواء جميلة فاتنة ، حاول النطق معبراً لها عن هواه ، فكان حديثه وتعبيره هو الشعر ، وهو يرى أن مشيئة الله لم تخلق الشاعر عبثاً ، ولكن خلقته ليكون خير هاتف بحسن هذا الكون ، ولقد بات الشاعر مع آدم وحواء في الجنة ، يؤنسهما بأغانيه ، كما أطلقت المشيئة في جنة الخلد حراً ، ينشد للطير والملائك الأشعار ، فتردّها عنه سحراً مذاًباً ، ولكن أمناً حواء جرّت علينا الهمّ والشقاء بحسنها وبضروب الغواية ، تلك التي جعلت آدم ينسى الإله ويعصاه ، ويطيع الحسناء فيما نهاه ، وإذا الله يقصيهما عن جنته . وهنا يتحدث الشاعر عن خروج آدم وحواء من الجنة وتوديعه لهما فيقول :

في صباح الخروج ودّعت آدم وهو يهوى بزوجه نحو عالم

مجدب صامت عميق الطلاس

بنشيد بثث فيه حناني وغناه أذبت فيه جناني

سمع الله في العسلا الحاني

ولما هبط العاشقان ، أو آدم وحواء الأرض ، راحا يستطلعان الحياة ، وما
زال بين عينيها ضياء الله ، وعلى شفتيها ابتسامته ، ولكنها تركا الشاعر في الجنة
وحيداً ، لا يطمئن الى وحدته ، أو يرتاح الى جنته ، بل لقد حالت محاسنها في
عينيها ، وأمسى ما كان يستخفه ويطر به ، يستثير شجونه وتبرمه :

بت وحدي أجوب في فردوس فأراها غريبة دون حسن

غيرت جنتي كآبة نفسي

فتراءت كغابة الآساد ظللتها مصحابة من سواد

مثل حسناء في ثياب حداد

ثم يروح يناجي الآله ، ويسأله في النهاية أن يعيد الى هذه الجنات ماضي
أنسها ، والا فهو سيهجرها الى حيث يلحق بآدم وحواء على ظهر الأرض :

يا إلهي علام تخلق جنه آية الحسن ، والمحاسن فتنه

ثم تفضي فتحرم القلب فنه ١٩

فامح منها الجمال والإغواء أو قدعنا هنا نعيش هباء

نجد النبع ثم نحيا ظماء

يا إلهي أعد الى جناتك قدس النور من سنا بساتك

أو قدعني أزل في هضباتك

لا تدعني هنا أعانق حاما لا تدعني هنا أعاقِر وهما
إن وجه الجنان بدل جهما

ولكن أمنية من أمانيه لم تتحقق ، فيروح مشمرداً على أن يحيا منفرداً في
جنته الخاوية التي لم يعد يراها الا بادية قاحلة ، ثم يزين له شيطانه الفرار من
هذه الحياة الفانية ، فيستودع الخالق قيثارته ، ويخرج من الجنة ا

أودعتك القيثارة يا خالقي وعفت هذى الجنة الخاوية
سئمت الحاني وإنشادها وعفت أحلامي وأطيافيه
أهذه الجنة حوتها يارب من روض الى بادية ؟
ما قيمة الفردوس إن لم يدع فيها عبير الأتفسر الصافية ؟
صبوت الدنيا وسكانها فان فيها أنفسا واعيه
ترجع الأصداء في مسمي فترجع الأصداء أحلاميه
يا خالقي عفوك عن ثورتى رغائبي تهتاج في ذاتيه
أرضيتى تطفى بأمواجها على مراسى روحي الصافية
وهناك على أبواب الجنة ، وقبل أن يبرحها الى العالم الأرضى ، ينادى الاله
الشاعر أمراً إياه بتأدية رسالته الى الناس :

فخذ من الجنة قيثارتى وانزل الى الأرض بأنفاسيه
خفف عن المتعب آلامه واسبل عليه رحمتى الحانية
أنشده في بلواه أنشودتى وعزّه عن جنى النائيه

يا شاعري ! انزل واحتمل يؤصها وعُدْ إذ ما شئت لي ثانيه

استأنس الآلام يا شاعري تسمى على وجه الثرى باغية
 ما أعجب الانسان في جهله أسير تلك الرغبة الخافية
 لم يحزن من فردوسه زهرها وقد جنى أشواكها الضارية
 ويهبط الشاعر الأرض مفتوناً بها ، مشوقاً اليها ، فاذا هو يرى من أمرها
 عجباً ، وإذا أبنائها يحدّون ويهزلون ، ويأملون ويألمون ، ويراءون ويصارحون
 ويتواضعون ويشمخون ، ثم إذا هم أشد من ذلك لا يستجيبون لداع غير داعي
 الشهوات والنزوات ، وإذا الموت من ورائهم يتخطفهم دون رحمة أو إشفاق !
 عجبت لسكان هذا الوجود ضحايا ، ولكنهم يعبتون
 تبدّد هم سخريات الحياة وتجمعهم سخريات المنون !
 تصوّفهم من جمود الصخور وشهوتهم من ضرام الجنون
 تلك هي فكرة « الشاعر » أو قصة « الشاعر » من مبدأه الى منتهاه ، وهي
 قصة تمثّل لنا نفس الشاعر وآماله ورمالته ، ثم قلقه وحيرته ، فهو لا يطيق الوحدة
 حتى ولو كان في فراديس الجنان ، فاذا ما أفلت منها الى الآفاق الجديدة المجهولة
 تلك التي يخيّل اليه أن السعادة كل السعادة فيها ، فسرعان ما تعاوده حيرته وقلقه
 حيث يصطدم بدنياه الحقائق ، وسرعان ما يهيم بأن يودّعها ، ولكن الى أين ؟
 ولقد نجح شاعرنا الصيرفي في تصوير هذه القصة خير تصوير ، كما عبر عنها
 أوضح تعبير ، وإن هذه القصيدة وحدها لكفيلة أن تنظمه في سلك الشعراء
 المتفردين المطبوعين .

وإذا كانت فكرة « الشاعر » حلوة عجيبة فإن فكرة « موت عزرائيل »
 لأحلى وأعجب ، فليس من يجهل أن « عزرائيل » هو ملك الموت الموكل

بقبض الأرواح ، وأن تلك هي مهمته ، فالشاعر يعبر الى الأمام مئات الآلاف من السنين الى حيث نهاية هذا العالم وفناؤه ، وحيث الرجى ، وحيث المقر :

حيث تبدو الدنيا كأول عهد	أنشئت فيه : بلقعا لا يسرا
قد توارى سكانها وتخلوا	فتساوى كوخ ^ه لديها وقصر ^ه
لا خراب ^ه فيها فينشق بوم ^ه	أو غصون ^ه فيها فينشد طير ^ه
ليس فيها إنس يعيث وجن ^ه	ليس فيها وحش يحوب ونسر ^ه
ساحة يخطر السكون عليها	لا ديب ^ه ، لا همسة تستسر ^ه
سكنت ريحها فليس تدوى	عالم مائت الطبيعة صفر ^ه !

فالشاعر يتصور الحياة في هذه الآونة ، حيث لا أحد باق على وجه الأرض ، فيرى أن « عزرائيل » قد قام بمهمته ، وأدى رسالته ، وأنه لم يعد له من عمل يؤديه بعد ذلك ، وأنه لا بد أن يسقى بالكأس التي كان يُجرعها كل كائن ، وهنا ينظر الله الى الدنيا فيراها كعهدها الأول فينادى « عزرائيل » آتخذ :

« إيه عزريل ! هل تواروا جميعا	وتلاشوا عن هذه ... واستقروا ؟ »
« واستردت أفلاذها من نعمتهم ؟ »	« قد تلاشوا مولاي ، وانقض دهرنا »
« إيه عزريل ! حينك الآن دانـ	فامض واجرع ما لست منه تفر ^ه »

ولا يكاد عزرائيل يسمع هذا الانذار المحتوم ، حتى يستولى عليه اليأس والذعر ، ويمضى في سبيله زائغ الطرف ، سادر الخطو ، تتشعب به مسالك التفكير في ماضيه فيرى ما يهوله ويروعه : فهذه أم^ه قد غال وحيدها ، وهذا شيخ قد فجعه في فتاة كانت ترعاه وتبره^ه ، وتلك فتاة طاح بذويها وأسماها الى الشقاء ، وهذا حبيب قد نكبه في حبيبته ، وهكذا توالى رؤى ضحاياها بخاطره هائلة مخيفة فتملكه الذعر والحزن ، ثم ماذا ؟ :

ثم حان الوقت الذي ليس منه في محيط الأقدار يوماً مفرُّ
فدوت صرخة فادت لها الأر ض وطافت أصدائها لا تقرُّ
ودوت صرخة فأسلم فيها ملك الموت روحه تستقرُّ

تلك هي قصة « موت عزرائيل » وهي قصة فيها جمال وطرافة ، ولعلك الآن
قد أدركت أن شاعرنا يحفل بالفكرة ، وأنه ينتحى في الشعر ناحية جديدة من
حيث طرافة الفكرة وسلامة التعبير عنها .

وإذا كنا قد راعنا ما راعنا في قصيدتي « الشاعر » و « موت عزرائيل »
فتعال نقف — إن طويلاً أو قصيراً — أمام قصيدة « الرغبات المقيدة » ففيها
لون آخر من التفكير والاتجاه . فالشاعر يرى أن كل كائن مسير في الحياة بقوة
خفية ، وأن كل كائن مهما تسامى فهو أسير القيود والأغلال ، فنسمة الفجر تمر
بالروض سواء أَدعَاها أم لم يدعها ، وهي لا تملك على كلتا الحالين من أمرها شيئاً ،
والإنسان قد يجبر على أن يعايش انساناً لا يطيقه أو يوده ، ولكنه — في الغالب —
لا يقدر أن يثور على هذه الحياة ، ونجمة الليل كثيراً ما يضايقها أن تطلع على كل
نائم غفلان ، ولم كان يفرحها ويهيجها أن تطلع على صب ترعاه ويرعاها ، ولكنها
وأسفاه تسير كما يرادها ، لا كما تريد ! ولو أن كائناً ما حاول الحرية والأفلات
من القيود . ما عُدَّ عند الناس بل ما عُدَّ عند نفسه إلا مجنوناً ! وشاعرنا
الصير في الذي وزن الحياة وخبرها وعرف قيمتها يحاول جهده أن ينفض عن
نفسه السلاسل والأغلال ، وهو لا يحدث مخلوقاً بهذه الرغبة ، رغبة التحلل من
من القيود ، ولكنه يدعك تلمح ذلك في سائر أعماله ، فهو لا يجالس قوماً إلا
إذا شعر برغبتهم في مجالسته ، وهو لا يحدث قوماً يحس أنهم لا يودون حديثه ،
ولكنه مع رغبته الملحة في حياة الحرية والصراحة ينسى أو يتناسى أنه يقاوم
طبيعته ، ويعرض نفسه للتهامس به ورميه بما ليس فيه .

والآن ، وبعد هذه المقدمة الوجيزة ، أحب أن أعرض عليك أبياتاً من قصيدة
« الرغبات المقيدة » حتى يتأكد لك تماماً ما قورنا من قبل من أن شاعرنا
الشاب قد ترك الشعراء يسيرون في طريقهم المعبدة المسألوفة ، وراح يخطط لنفسه
طريقاً جديدة في كل شيء :

لو كنت نسمة فجر في الربيع لما	مررت بالروض ألا وهو يدعوني
أو كنت زورق نهر ما خطرت على	صحائف اليم إلا وهي تحميني
أمر من فوقها كالحلم مخترقا	أجنان عاشقة في حوض مفتون
أو كنت نجمة ليل ما طلعت على	غفلان ، لكن على صب يراعيني
أو كنت أثمار روض ما دنوت إلى	أكف من ليس يهواني ويرجوني
أو كنت ... أو كنت مما كاه متع	ما كنت أسعد إلا من يناجيني
لكنني أنا مخلوق يسيرني	دهري ودهري في الاغلال يغويني
لو شئت أفلت من قيدي لما اقتنعت	نفسى بأني الا جد مجنون !

وقصيدة « اللغز » ... إنها قصيدة رائعة فهو فيها يري أنه الروض والغصن
والأفق والواحة والملاح التائه ، ولكن ما لكل هذه تنكره وتجانبه ؟ لعل
في الأمر لغزاً ثم لعل هذا اللغز مضمّر في نفسه فهي لو شاءت ، ما أنكرتها
جداول الروض ، أو جانبتها بلا بل الغصن ، ولعل من روائع هذه القصيدة الأبيات
التي يعبر فيها عن حيرته ، وعدم اهتدائه وتوفيقه الى رغائبه المجهولة ، في محيط
الحياة الزاخرة :

أنا العابر الملاح أبهم ساحله
وقفت على موج الخضم أسأله

عن الساحل المجهول ضاعت دلائله
فثار على الموج ، قاص تحامله

وحطمت الريح الغشوم سفينتي وهل في مُثار الحرب تجدى سكينتي ؟
لقد غمر الموجُ الغضوبُ الشواطئ
وغطى جميع الصخر الا النوائثا
لقد جاءني جيش الفناء مفاجئاً
وبى رغبة في العيش ، فلا مض هازئاً !

ولا يستطيع القارئ أن يمر بالديوان دون أن يقف بالربيعيات وقمة المتأمل ،
فهى قصائد سبع نظمها الشاعر فى ربيع قاحل لم يجد فيه حياة وأنساً ، فالربيع وهو
شباب الزمان ، وواهب الفتنة والسحر للأحياء والجماد ، هذا الربيع تتشوف اليه
النفوس الشاعرة ، وتتعجل موكبهُ ومقدمه لما يدخله عليها من البهجة والمرح ،
والصفاء والسمو ، فهو أغنية من أغاني الحياة الندية ، وتعبير من تعابيرها الشعرية ،
ولكنه قد مر بشاعرنا ذات عام جامداً لا ينبض بحياة ، أو يهتف بمخاطر أو احساس
مشرق ، وإذا هو يوقع ألحان الربيع الحزينة فى أسف عميق ، فاستمع اليه فى احدى
هذه الاغنيات وهو يقول :

يا أغاني الربيع ، فى البلد الضاحك بالكِ لم يستمع لرنينك
حائر الطرف لو نظرت اليه عدتِ منه بحيرة فى عيونك
خافق القلب لو سمعت أغانيه لغيرت من أصول لحونك
كان يصبو الى سماعك بالأُمس تغنيته جديد فنونك

ويقول في قصيدة أخرى :

يا أغاني الربيع لو عاد للشيخ شبابٌ ماضٍ بكل رواء
أفينسى الآلام حرقّت القلب وأفنت ذبالة الأحشاء
أفينسى ما كان من لوعات أفينسى ما كان من برحاء ؟
أفينسى ما كان من إعراض أفينسى ما كان من إغضاء ؟
إن جرح الآلام أخذ في النفس وأبقى من ذكريات الصفاء
لا تحب القلوب أكثر من حب فاب زاد فهو حب المرأى

ومما يلتفت النظر في الديوان بوجه خاص قلة الغزل فيه ، فشاعرنا الصيرفي شاب وهذا أول دواوينه ظهوراً ، فكان طبيعياً أن ترى فيه أثراً واضحاً للشعر العاطفي ، لأن المرحلة التي قُلت فيها هذه المجموعة الشعرية هي المرحلة الطبيعية التي يلتفت فيها الشاعر إلى المرأة التفاتاً يكاد يطغى على الجوانب الشعرية الأخرى بل إننا لنرى كثيراً من شعراء الشباب يخرجون دواوينهم وقد غلب عليها لون واحد هو الشعر العاطفي ، ولكن يُخيل إلى أن شاعرنا الصيرفي لا يود أن يعطى المرأة في شعره من العناية أكثر مما يعطى لكل ناحية أخرى من نواحي الحياة التي توحى بالشعر والألهام .

على أن شعره في ذلك لا يخرج عن كونه غزلاً صوفياً فهو لا ينشد في المرأة ما ينشده كثرة الشعراء مما أفاضوا في وصفه وذكره ، ولكنه يرجوها لثراً دموعه إذا طغى سيل الحوادث ، ولتكون أغانيه ، وأمانيه ، وأشعاره ، وأحلامه ، ونوره ، فاستمع إليه في قصيدة « تحت ضوء القمر » وقد اعتاد الجلوس على شاطئ النيل هو ومحبوبته في مكان معين ثم ذهب مرة إلى هذا المكان فأثرت فيه الوحدة وهاجته الذكري ، فراح يناجي القمر نجاؤاً مؤثراً :

أنت قد أذكرتني الآن وهيجت حنيني
 أين من ترقاً دمعى؟ أين من تطوى أنيني؟
 أين من كانت لي الأم، وكانت لي خديني؟
 أين من كانت لي النور إذا أمست شجوني؟
 أين من كانت لي الشك، وكانت لي يقيني؟
 هي كانت في نواحي الفكر في شتى شئوني
 أين يا بدر وقد جئتك وحدي؟
 أين هذا العهد من سالف عهدي؟

ثم يتدرج من هذه الأسئلة اللاهفة إلى تأسسية نفسه بما يخاله عزاء وسأوى فيقول:

يفضل المسرور عن آلام من ضلّ السرور

وسرور الناس في الدنيا غرور في غرور

كم ضحكنا ولهونا وعدونا مرحين

كم شربنا وخلونا وسكرنا فرحين

فاذا اللهو رجا خادعاً

وإذا السكر سراب لامع

وإذا الكل لدينا ذكريات

تترامى كطيور حائمات

في حبي مستنقع

ما ألد الذكريات لو تكونين معي



وبعد ، فلو شئنا أن نعرض لكل ما في الديوان من مناحي التفكير ومظاهر التجديد ما وسعنا هذه المجالة ، ولعلنا قد وفقنا الى التمهيد للقارىء ، والى القيام بما يجب لهذه الشخصية التى جنت عليها سماحتها . هذا وان يفوتنا قبل الفراغ من هذه الدراسة أن نشير الى أن اتجاه الشاعر التجديدى كان يحتم عليه أحياناً التحرر من السير على وزن واحد حتى رأيناه فى القصيدة الواحدة يستعمل وزنين مختلفين فى بيت واحد كما فى قصيدة « وحي الشعر » صفحة ٦٥ ، فالشطر الأول من الأبيات الثمانية الأولى من بحر موالد والشطر الثانى من الأبيات ذاتها من البحر الخفيف ، وكان فى مكنته أن يسير على وزن واحد ، لولا نشوة بموسيقى خاصة كما أشار الى ذلك .

وكذلك يحسن أن نشير هنا الى أن هذه « الألبان الضائعة » ليست أول ما نظم الشاعر ولا آخره ، فزال عنده ديوانان آخران هما « قطرات الندى » و « الشروق » ، واتنا لندرجو أن يوفق فى القريب الى اخراجهما أيضاً خدمة للأدب والشعر فما أحوجهما الى هذا الغذاء الدسم ، والشعور المتدفق الفياض ما

عبد العزيز عتيق



تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٥	مَحَارَ	مَحَارَ
٢٥	٣	تَلِدُ الأَيَّامُ	تَلِدُ لِي الأَيَّامُ
٢٤	٧	الَاهَاذِيحُ	الْأَلْحَانُ
٢٤	٩	النَّاسُ	النُّشُورُ
٢٨	٨	إِذَا سَلَتْهَا	إِذَا مَا سَلَتْهَا
٢٩	٦	يَمَلَا	يَمَلَا
٣٧	٨	حَسْبِي	حَسْبِي
٤٥	١٤	كَانَتْ	كَانَ
٧٣	٤	وَالْخَالِي	وَالْخَامِلُ
٧٣	١٢	وَالنَّعْمَةُ	وَالنَّسْمَةُ
٧٥	١٥	هَذِ	هَذِهِ
٧٧	٧	فَارَوْ مَا	فَارَوْ مَا
٧٩	٥	فِيَانَتْ	فِيَانَتْ
٨٣	١١	تَرْبَةً	تَرْبَةً
٩٦	١٩	إِذَا	إِذَا



سے

٢٤	الصدى الخافت	٣	القراء الديوان
٢٥	جفالة الطبيعة		
٢٨	دعيني !	٤	تصوير
٢٩	الحيارى		
٣٠	الأخضر		بقلم الدكتور أبي شادي
٣٣	التائه	٩	اللامعة
٣٣	الشاعر		
٤٣	السحابة المقترة		صدرة سريعة
٤٤	البسات الساهرة		بسم الديوان
٤٥	موت عذرائيل		
٤٨	ظلماني !	١٥	الفضحية
٤٩	إسترح يا قلب !	١٥	الواحة المنسية
٥١	إنفردت !	١٦	حياتي
٥٢	كأبني	١٨	أغاني الربيع
٥٣	في الخريف : الشجرة العارية	١٩	الحى الدفين
٥٤	عُقب السجادة	٢٠	الاحن الضائع
٥٦	حياة الفنان	٢١	القلب المحطم
٥٧	تحت ضوء القمر	٢٢	الشكوى الصامتة
٦٣	هدأت ليلى هدأت	٢٣	جرح الألم

صفحة	صفحة	
	٦٥	وَحْيُ الشَّعْرِ
	٦٧	وَحْيُ الْمَصْبَاحِ
	٧٠	البانسيه (زهرة الذكرى)
٨٣	الشاطنات	الخير والشر
٨٣	الحياة	أيهما أصلح ؟
٨٤	الحب والنفوس	موت البلبل
٨٤	الغائب	الخيال
٨٥	الحب الشامل	دموعى ...
٨٥	الروح والجسد	المنديل
٨٦	وحدتى	يا ذابل الزهر !
٨٦	هيكلى الحب	الربيع الباهت
٨٧	التفصيح	ربيع كالخريف
	٨٠	الغبات المقيتة
	٨١	الشاعر والزمان
	٨٢	
٩١	شاعرية الصيرفى	
	بقلم عبد العزيز عتيق	



